

الرقم التسلسلي:...../.....

1- رقم التسجيل: 1435082991

2 - رقم التسجيل: 1435080497

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر: تخصص: لسانيات عامة

بعنوان:

الظواهر الفنية في التفسير البياني للقرآن الكريم
سورة البقرة أنموذجا

إعداد الطالبتين:

-ربيعي ماجدة

- العطوي رحمة

تاريخ المناقشة: 2019/06/25 على الساعة: 13:30-14:30 / ق: K02

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

أ/ جياب بلقاسم	الرتبة: أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	رئيسا
أ/ عرباوي محمد	الرتبة: أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
أ/ بوديسة بولنوار	الرتبة: أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ - 2018-2019 م

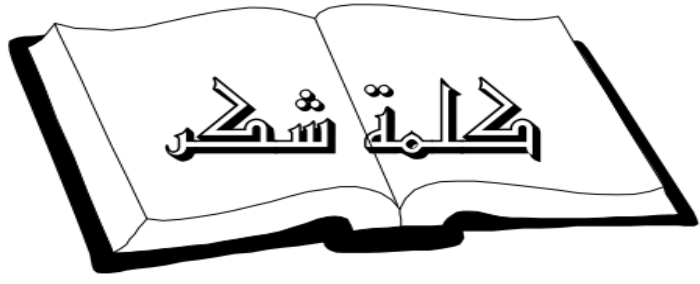
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿...وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ

وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾

صدق الله العظيم

سورة النساء، الآية (113)



نتقدم بخالص شكرنا وفائق احتراماتي إلى أستاذي الفاضل

* محمد عرباوي* الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث ولم

يخل علينا بنصائحه المثمرة وتوجيهاته وملاحظاته العلمية

القيمة مع منحنا مساحة من حرية إبداء الرأي، إيماناً منه بلغت

أكوار المثل بين الأستاذ والطالب .

كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة أعضاء اللجنة الموقرة الذين

نلنا شرف إطلاعهم على مذكرتنا المتواضعة والشكر موصول لكل

الأساتذة بقسم اللغة العربية بجامعة محمد بوضياف،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



A decorative border with floral and scrollwork patterns in the corners, enclosing the central text.

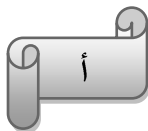
مقدمة

مقدمة:

القرآن الكريم كلام الله الحق الخالد الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، ومعجزة الله الكلامية التي تحدى بها فحول البلاغة وأساطين البيان، فعجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة فيه وبقوا قاصرين أمام جماله وجلاله وإعجازه، وعلى الرغم من أن مقصده الروحي من نزوله أن يكون هداية للبشرية ومنهج تشريع الأمة وهو آخر كتاب سماوي الخالد والباقي إلى يوم الدين، فقد وعد الله بحفظ آياته من التحريف والعبث، عكس ما حصل في الكتب السماوية السابقة. بالإضافة إلى كونه ليس كتاب دين ودعوة فحسب إنما هو أيضا كتاب أدب وبيان وهو بحق أبلغ وأبين كتاب عرفته الدنيا، وفي سياق السعي وراء استكشاف بيان أوجه جمال القرآن وروعة القيم الجمالية في كلماته وعباراته وأسلوبه ونظمه المعجز، شاء سبحانه أن ينزل القرآن باللغة العربية التي بلغت القمة في التعبير عن المعاني المختلفة والتي أجمل القرآن كل مميزاتها في لفظة وجيزة دالة قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٠﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩١﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٢﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: 192-195] وقوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: 102]

إن جميع الذين كتبوا عن علوم القرآن الكريم اتفقوا على أنه معجز بأسلوبه الفريد ونظمه البديع الذي هو فوق طاقة البشر، حتى أن الوليد بن المغيرة وهو مشرك من أعداء الاسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعترف بقمة أسلوب القرآن إذ يقول: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم تحته"¹. ولا عجب فقد جاء هذا الأسلوب على نسق خاص وصورة مباينة لما عرفه العرب من أساليب البيان إذ لامس أوتار القلوب فاهتزت له العواطف وفرت لجلاله وجماله حياة أساطير البلاغة وفحول البيان مقرين أنهم أمام نظم ووحى

¹ محمد ناصر الدين الألباني، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمان الأردن، 1421هـ، ط1، ص158.



سماوي لا يقدر على مثله مخلوق، وأجمعوا على أن صياغة العبارة القرآنية ونظمها قد جاء في الطرف الأعلى من البلاغة الذي هو الإعجاز ذاته.

ومن أهم المعايير الجمالية للتصوير الجمالي في القرآن الكريم: التشبيه، الاستعارة، الكناية، الإيقاع، التناسق، التقابل، الإيجاز، الاطناب وقوة البيان وجودة الصورة وهذه المعايير يمكن توظيفها كشكل أساسي ضمن متطلبات التشكيل الجمالي الذي يعنى بالكشف عن ألوان وأسرار وأساليب القرآن من خلال الموضوعات المتعددة، وأبرز ما يميّز الجمالية في القرآن عناصر الأداء التعبيري المناسب الذي يشمل التعبير الفني بألوانه وأنواعه وما يحويه من إيجاز وتصوير بالكلمة المعبرة والتركيب الموحى والآيات المصورة في مشاهد حية، ويبقى التصوير هو الأداة المفضلة في القرآن الكريم فهو يحول المعنى إلى صورة فإذا هي تصبح واقعا أمامك والأمثلة هي كل القرآن تقريبا فيما عدا التشريع، ومهما قيل بخصوص جمال في القرآن سواء ما جاء بنص صريح ومفردة صريحة، أو ما جاء ضمنا في معاني القرآن بسحر بيانه وقوة سبكه فلا يمكن للباحث أن يستشف الحقائق الكلية فيه أو أن يلم بكل ما حوله وما فيه من أسرار.

وإيماننا منا بعظمة هذا الكتاب الخالد، أردنا أن نقدم جانبا من جوانبه العظيمة ألا وهي الظواهر الفنية في التفسير البياني للقرآن الكريم المتمثلة في الظاهرة التشبيهية، الكنائية، الاستعارية والمجازية ، ونموذجنا في هذا العمل المتواضع هو السورة المكناة فسطاس القرآن أو سنام القرآن ألا وهي سورة البقرة.

الإشكالية: تتمثل في السؤال الرئيسي الآتي:

* فيم تتمثل أهم الظواهر الفنية المعالجة في التفاسير البيانية لسورة البقرة؟

وعن هذا السؤال تتفرع مجموعة من الأسئلة الجزئية أبرزها:

* كيف يمكن التمييز بين المواضيع الآتية: علم البلاغة، علم البيان، التفسير البياني؟

* ما هي أهم الظواهر الفنية البيانية التي ذكرت عند علماء العربية؟

* ما أهم الظواهر الفنية في سورة البقرة وكيف عالجه علماء التفسير البياني؟

أسباب اختيار الموضوع: من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هو أهمية القرآن الكريم في الدراسات اللغوية والبلاغية فهو الأصل الأول، ولمكانة سورة البقرة من القرآن، فهي متميزة بكونها جاءت في مرحلة مهمة من مراحل الدعوة الإسلامية، وهي سورة مدنية نزلت عقب صلح الحديبية، حين تآزمت العلاقات بين المؤمنين والمشركين وسط ترقب اليهود والمنافقين، والكشف عن خصوبة الظواهر الفنية في اللغة القرآنية بالإضافة إلى السبب الذاتي وهو الرغبة في اضافة دراسة جديدة إذ تناولتها بعض الأبحاث بشكل جزئي.

بنية البحث: بني البحث على ثلاثة فصول ، فصلان نظريان ثم فصل تطبيقي، الفصل الأول تناولنا فيه التفسير البياني وعلم البيان وتضمن التعريف بعلم البلاغة، وعلم البيان والتفسير البياني.

أمّا الفصل الثاني فقد تطرق إلى الظواهر الفنية البيانية المتمثلة في الظاهرة التشبيهية الكنائية والاستعارية والمجازية، حيث قمنا بتعريفها وتقديم بعض الأمثلة. وأخيرا الفصل الثالث عالجنا فيه الظواهر الفنية البيانية في سورة البقرة من خلال الاعتماد على التفاسير القرآنية، فعرفنا بالسورة ثم بينّا الظواهر التشبيهية والاستعارية والمجازية والكنائية التي لها علاقة بالتفسير البياني للسورة.

وبعد هذه الفصول خلص البحث إلى خاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها.

منهج البحث: اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي لمناسبتة طبيعة الموضوع واشتماله على آليتي التحليل والوصف.

أهم الدراسات السابقة: لقد سبق بحثنا في هذا الموضوع الكثير من الدراسات السابقة أهمها:

- ذوي نورة الهمدياني، الاستعارة في سورة البقرة، الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج، أندونيسيا، 2008م.

- سندس عبد الكريم الهادي، مقال الأسلوب الكنائي في القرآن الكريم، الكلية التربوية، المفتوحة، مجلة كلية الأدب، عدد 97.
 - محمد سليمان عبد الحفيظ، التشبيه المقدر في القرآن الكريم، مجلة الجامعة الأسمرية، عدد 23، 2011.
 - مازن موفق صديق، معن توفيق دحام، الإعجاز البلاغي وأثره في تلقي عقيدة الحياة والموت سورة البقرة نموذجاً، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية التربية للبنات، جامعة الموصل 2010م، عدد 01، مج 10.
- لكن هذه الدراسات تختلف عما ذهبنا إليه في هذا البحث، كونها تختص بدراسة ظاهرة واحدة من الظواهر الفنية البلاغية، أمّا بحثنا فقد حاول أن يجمع بين أغلب هذه الظواهر ودراستها، في ضوء سورة البقرة.
- أهم المصادر والمراجع:** وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:
- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير.
 - الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن.
 - الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
 - أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير.
- الصعوبات:** اعترضتنا مجموعة من الصعوبات في إعداد هذا البحث أبرزها:
- طبيعة الموضوع تحتاج إلى الكثير من الوقت للتدبر في معاني القرآن وأحكامه، لكن في هذه المرحلة الدراسية، ملزمين بوقت محدد لإنجاز البحث.
 - اتساع المادة العلمية وكثرة تفاسير القرآن، مما دعانا إلى تحديد مجالها في عدد قليل لتسهيل العودة إليها في استكشاف الظواهر الفنية.
 - كثرة توحي الحذر في دراسة تفسير القرآن الكريم وبيان، لارتباطه بأحكام التشريع الإسلامي.

وفي الأخير قد ذكرنا الظواهر الفنية البيانية في السورة على سبيل المثال لا الحصر، ليتذوق القارئ بعض روائع القرآن، فكلام الله معجز وفيه من الروائع البيانية والصور البلاغية ما يعجز عن وصفه اللسان، ولا نزع أننا أحطنا بموضوع الدراسة من كل جوانبه، ولكن نرجو أننا طرّقنا ومهدنا للباحثين بعدنا أن يصوبوا ما أخطأنا ويستطيعوا ما عجزنا عنه، ويتموا ما بدأنا به، ولا يجرأ أحد من الباحثين على القول بأنه بلغ الغاية القصوى أو أنه أحصى جميع عناصر بلاغة القرآن، فهو كتاب لا تفنى عجائبه.

الفصل الأول

التفسير البياني وعلم البيان



❖ أولاً: علم البلاغة.

❖ ثانياً: علم البيان.

❖ ثالثاً: التفسير البياني.

❖ خلاصة .

منذ أن نزلت الرسالة السماوية الأخيرة والعلماء يجتهدون ويبحثون، ليوضحوا لنا وجوه إعجاز القرآن، فاتفق جلهم على أن البلاغة هو الوجه الأصيل في إعجاز القرآن الكريم، بل الوجه الذي يلزمه في كل صورة وفي كل تركيب، ويحس بروعتها كل من يستمع إلى كلام الله ويتمعن في آياته، ومعرفة أسرار التعبير فيه من الناحية الفنية البيانية. وفي هذا الفصل سنتناول مفاهيم عامة حول علم البلاغة والتفسير البياني وعلم البيان.

أولاً: علم البلاغة للبلاغة مكانة عظيمة عند علماء اللغة والدين، يمكن تعريفها كما يلي:

1. تعريف البلاغة:

لغة: ذكر الجوهري في الصحاح: بلغت المكان بلوغه؛ وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه. ومنه قوله تعالى: ﴿... فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ...﴾ [البقرة: 234]. أي قاربته... والإبلاغ الإيصال، وشيء بالغ، أي جيد. وقد بلغ في الجودة مبلغا، والبُلغين: الداهية¹.

وجاء في لسان العرب: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، تبَّلع بالشيء: وصل إلى مراده... البلاغ: ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. البلاغ: ما بلغك، والبلاغ: الكفاية... والإبلاغ: الإيصال... بلغت المكان بلوغا: وصلت إليه، وكذلك إذا شارفت عليه².

البلاغة في المعجم الوسيط: حسن البيان وقوة التأثير. المبلغ هو المنتهى يقال: بلغ مبلغ فلان والبلاغ هو التبليغ³ كما قال تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: 52].

والبلاغة في نهج البلاغة: من وصية له عليه السلام للحسن بن علي عليهما السلام: من الوالد الفاني، المقرّ للزمان: واعلم أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا، وللنفاء لا للبقاء،

¹ اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ط2، ج3، ص136.

² أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ط2، مجلد8 (ع-غ)، ص419.

³ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ج1، ص70.

وللموت لا للحياة، وأنك في منزل قُلة، ودار بُلغة. والبلغة: الكفاية، أي: دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة¹.

ب. اصطلاحاً: أورد الجاحظ في كتابه تعريفات كثيرة للبلاغة والتي وجدها عند الفرس والهنود واليونان والعرب.

فقد قيل للفارسي ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.

وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال وُضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.

وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام².

وقال ابن الأعرابي أيضاً: قال لي المفضل بن محمد الضبي: قلت لأعرابي منّا: ما البلاغة؟ قال: الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل³.

والبلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع ملائمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه والأشخاص الذين يخاطبون⁴.

قال عبد القاهر الجرجاني: البلاغة هي أن يبلغ المتكلم ما يريد من نفس المخاطب بإصابة مواقع الاقتناع من العقل والتأثير من القلب⁵.

من خلال هذا البيان الموجز في تعريف البلاغة لغة واصطلاحاً نستنتج أن الارتباط وثيق بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، ومن هذا نقول علم البلاغة هو الوصول والانتهاء، وبلوغ المتكلم نفس المخاطب بأوجز لفظ وأحسن عبارة.

بعد التعريف بعلم البلاغة لغة واصطلاحاً فما هي بلاغة الكلام و المتكلم؟

¹ علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه وضبطه الشريف الرضي ومحمد عبده، بيروت، مؤسسة المعارف، 1996م، ج4، 1، موضوعات الكتب والوصايا، ص583.

² أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص88.

³ المرجع نفسه، ص97.

⁴ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع، ط1، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1999م، ص40.

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط1، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 2000م، ص55.

البلاغة في الكلام هي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه (مفردها ومركبها) و(حال الخطاب) ويسمى بالمقام هو الأمر الحامل للمتكلم أن يورد عبارته على صورة مخصوصة. (والمقتضى) ويسمى الاعتبار المناسب هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة. مثلاً: المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز. فكل من المدح والذكاء (حال ومقام) وكل من الإطناب والإيجاز (مقتضى)، وإيراد الكلام على صورة المجاز والإطناب (مطابقة المقتضى)، وليست البلاغة إذا منحصرة في إيجاد معانٍ جليلة ولا في اختيار ألفاظ واضحة بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمراً ثالثاً هو إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالاً¹.

أما بلاغة المتكلم فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهي ملكة في النفس يقتدر صاحبها على تأليف كلام بليغ في أي معنى قصده.

ويلاحظ أن البليغ يحتاج إلى :

الطبع والموهبة، والذهن الثاقب، والخيال الخصب، وهذه صفات خلقية.

الثقافة اللغوية والنحوية، ومعرفة أحوال النفوس البشرية وطبائعها، وإلمام بما يحيط به من البيئة الطبيعية والاجتماعية، وهذه صفات مكتسبة².

2. أقسام علم البلاغة: يقسم علم البلاغة إلى ثلاثة أقسام رئيسية، عرفت منذ الأزل ولم تتغير إلى يومنا هذا، وإنما تطورت لظهور الكثير من الشواهد في اللغة، وهذه الأقسام هي:

أ. علم المعاني: هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سيق له، وهو أوسع علوم البلاغة.

¹ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 41

² يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ط 1، دار المسيرة، عمان، 2007م، ص 49.

أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة 471هـ، فهو الذي هذب مسائله، ومن مباحثه: الخبرية، الإنشائية، الإسناد، الإطلاق والتقييد، القصر، الفصل والوصل، الإيجاز، الإطناب، المساواة.

ب. علم البيان: هو علم الصور البلاغية يبحث فيه عن شكل الألفاظ من حيث تبينها للمعاني: فهو يكمل علم المعاني¹.

ج. علم البديع: هو علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على المراد، أول من دوّن قواعده ووضع أصوله عبد الله ابن المعتز العباسي المتوفى سنة 274هـ، فقد استسقى ما في الشعر من المحسنات وألف كتابا ترجمه باسم البديع، ومن مباحثه: التورية، الاستخدام، الاستدراك، الافتتان، الطباق، المقابلة، الجناس، المبالغة وغير ذلك².

3. أهمية دراسة علم البلاغة: تنطوي دراسة علم البلاغة على أهمية كبيرة تظهر فيما يلي:

1.3- تساعد البلاغة على معرفة معاني القرآن، وأسرار التعبير فيه، والوجوه المحتملة لجمله وتراكيبه.

2.3- تساعد على اختيار النصوص البليغة من الشعر والنثر وغيرها من أضرب الكلام.

3.3- تنمي القدرة على تمييز الكلام الحسن من الرديء.

4.3- تساعد المتكلم على صياغة كلامه وفقا للمناسبة.

5.3- تعين القارئ على جمال أو قبح ما يقرأ.³ أي التمييز بين الكلام الفصيح (البين) وغير الفصيح (الغريب).

¹. أحمد قلاش، تيسير البلاغة، المدينة المنورة، دت، دط، ص8.

². أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، ص268.

³. مقال ألاء عيد، علم البلاغة. <https://mawdoo3.com>، تاريخ الاطلاع : 2018/10/07، 12:00.

6.3. تعطي للناقد آلات النقد وأحكامه أي القدرة على انتقاء النصوص الأدبية بطريقة صحيحة خالية من الأخطاء.

7.3. البعد عن الخطأ في تأدية المعاني.

8.3. معرفة أسرار البلاغة تحافظ على اللسان العربي الفصيح.¹

حسب هذه العناصر يتبين لنا أن للبلاغة أهمية كبيرة في إدراك ومعرفة أسرار التعبير القرآني وفهم معانيه، وتعطي نغما خاصا في التراكيب اللغوية، وبواسطتها يستطيع المتكلم إنتاج عناصر كلامه وفقا للموقف الذي هو واقع فيه، فيميّز بين الجيد والردىء.

البليغ إذا أراد أن ينشئ قصيدة أو مقالة....الخ، فكر في أجزائها، ثم دعا إليه من الألفاظ والأساليب أخفها على السمع، وأكثرها اتصالا بموضوعه، ثم أقواها أثرا في نفوس سامعيه وأروعها جمالا. فعناصر البلاغة إذن لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب حسب موطن الكلام ومواقفه وموضوعاته وحال السامعين، والنزعة النفسية التي تملكهم وتسيطر على نفوسهم، فربّ كلمة حسنت في موطن ثم كانت نابية مستكرهة في غيره.²

ومن هنا نستنتج أن البليغ يجب أن يكون ذا عقل متميّز، وذوق راق، فينتقي الألفاظ المقبولة، والمعاني المفهومة، التي تصل إلى قلب السامع في صورة حسنة مؤثرة.

ثانيا: علم البيان: البيان هو أحد علوم البلاغة نعرّفه كما يلي:

1. تعريف علم البيان:

أ. لغة: ذكر ابن منظور في لسان العرب: بان الشيء بيانا: اتضح فهو بيّن، وأبان الشيء فهو مبين، وأبنته أنا: أي وضّحته، واستبان الشيء: ظهر، واستبنته أنا: عرفتّه، والتبيين: الإيضاح.³

¹. أحمد مصطفى المراغي، علوم اللغة، دار الكتب العلمية بيروت، ص5.

². علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة والبيان والمعاني والبديع، دار الفكر بيروت لبنان، 2010، ص8.

³. ابن منظور، لسان العرب، مجلد13 (ن-ه)، ص67.

قال الراغب: بان واستبان وتبين نحو عجل واستعجل وتعجل وقد بينته، البينة: هي الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة، والبيان: الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق، لأنّ النطق مختص بالإنسان، ويسمى ما بُين به بيانا.¹ قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾ [الرحمن: 4-1].

جاء في معجم مقاييس اللغة: بين وهو بعد الشيء وانكشافه، البين الفراق، يقال بان الشيء وأبان: إذا اتضح وانكشف، وفلان أبين من فلان، أي أوضح كلاما منه.² واستخدم أصحاب اللغة كلمة البيان في معنى اللسان والفصاحة، وقالوا: فلان أبين من فلان أي: أفصح منه، وأوضح بيانا.³

إنّ إطلاق البيان على الفصاحة واللسن ليس هو الأصل في الاستعمال، إنّما أطلق عليهما: لما فيه من الاقتدار على الكشف والإبانة عن المعاني والخواطر الكامنة في النفس، ويكون معناه حينئذ مقابلا لمعنى العي والحصر، والعجز عن الإفصاح عند الحاجة إلى هذا الإفصاح.⁴

فالمعنى اللغوي المتبادر في أذهاننا لعلم البيان هو الايضاح والكشف والفصاحة والابانة. وهو الذي فضّل به الإنسان على الحيوان.

ب. اصطلاحاً: هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.⁵

أما بالنسبة للجاحظ فإنّه يرى أنّ: البيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته كأننا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل لان مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هو

¹. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، 2009م، ط4، ص157.

². أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، ج1، 1979م، ص327.

³. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ط1، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1982م، ص7.

⁴. البيان العربي، ص13.

⁵. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ط1، ص163.

الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك البيان في ذلك الموضوع¹.

وقد ذكر ابن رشيق القيرواني تعريف البيان بقوله: أنّ البيان الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عُقلة، وإنّما قيل ذلك: لأنّه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي قد يدلّ، ولا يستحق اسم البيان². العُقلة: الحبسة والعقدة.

وقد حاول عبد القاهر الجرجاني توضيح مفهوم علم البيان بقوله: ثم إنك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأسبق فرعا... من علم البيان الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي، ويصوغ الحلي...، فالبيان عنده الفصاحة والبلاغة والبراعة، ونراه يسمي مباحثه في المعاني باسم علم البيان تارة، وعلم الفصاحة تارة ثانية³.

ويرى السكاكي أنّ البيان: هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه⁴.

2. وازع علم البيان:

إنّ أبا عبيدة هو الذي دوّن مسائل هذا العلم في كتابه المسمى (مجاز القران) وما زال ينمو شيئا فشيئا حتى وصل إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني فأحكم أساسه وشيّد بناءه، ورتّب قواعده وتبعه في ذلك من جاء بعده⁵.

فقد ظل المفهوم واسعا لكلمة البيان حتى ظهر في خوارزم السكاكي (ت626هـ) فحجر ما كان واسعا ووضع للبلاغة قواعدها المنطقية وقسمها إلى المعاني والبيان، وألحق بهما المحسنات وجعل لكل قسم تعريفا، فعلم المعاني هو: صنف يبحث فيه عن الهيئات

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76.

² ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، ط5، 1981، ص437.

³ جعفر السيّد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص194.

⁴ أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ط2، ص162.

⁵ يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص143.

والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الأحوال، وعلم البيان هو: صنف يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه، فقد ينطق باللفظ ولا يراد به منطوقه، بل يراد به لازمه، كقولك: أسد، فلا تريد حقيقة الأسد المنطوقة وإنما تريد شجاعته اللازمة وتسندها إلى فلان¹.

ثم أدخل السكاكي الدلالات في تقسيم موضوعات علم البيان، وأثار مناقشة دخول هذا الموضوع أو ذاك فيه، وخروجه عنه، فبحث من هذا الباب ثلاث دلالات للألفاظ:

أ. دلالة اللفظ على تمام ما وضع له وتسمّى دلالة المطابقة، كدلالة البيت على مجموع السقف والجدار.

ب. دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسمّاه وتسمّى دلالة التضمن، كدلالة البيت على الجدار فقط.

ج. دلالة اللفظ على لازم معناه وتسمّى دلالة الالتزام، كدلالة الإنسان على معنى الضاحك.

وقسم هذه الدلالات إلى فرعين: الأوّل: وضعي، وفيه دلالة المطابقة، الثاني: عقلي، وفيه دلالاتي التضمن والالتزام.

وبنى السكاكي تقسيم البيان على هذه الدلالات، وذكر أن الاستعارة والمجاز والكناية تفسّر بالفرع الثاني ووجهته عقلية، إذ يمكن أن تتفاوت الدلالات في الوضوح، وأخرج التشبيه لأن دلالاته وضعيّة لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة²، لأن السامع إذا كان عالماً بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح دلالة عليه من بعض وإلا لم يكن كلّ منها دالّاً عليها بخلاف دلالة التضمن، ودلالة الالتزام اللتين يمكن بهما التصرف في الألفاظ وإيرادها في طرق متعددة للدلالة على المعنى الواحد³.

¹ عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م، ص10.

² جعفر السيّد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص195.

³ أحمد مطلوب وكامل الحسن بصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، 1999م، ط2، ص256.

وعلى الرغم من أنّ السكّاكي بنى تقسيم البيان على الدلالات وأخرج التشبيه منه، ومع ذلك لم يستطع أن يهمل بحث التشبيه في علم البيان لعلمه أنه باب واسع كثير الاستعمال وله مزايا تورث الكلام حسنا وبهاء¹.

وبعد هذا يجدر بنا أن نقول إنّ السكّاكي هو أول من أطلق على الموضوعات التي تبحث في الصورة الأدبية (التشبيه والمجاز والكناية) مصطلح علم البيان وأن من جاء بعده كان مردداً لكلامه، وما جاء بعد المفتاح من الكتب كان تلخيصاً أو شارحاً لتلخيصه².

ويشمل علم البيان مجموعة من المباحث هي: (التشبيه، المجاز، الاستعارة، الكناية)، وهي جميعاً فصول تظهر لنا كيف أنّ معنى واحداً يستطاع أدائه بأساليب عدة وطرائق مختلفة³.

إنّ أصول البيان أربعة: أصلان ذاتيان هما المجاز والكناية، وواحد وسيلة هو التشبيه، وواحد جزء من أصل وهو الاستعارة. وذلك على حسب قول السكّاكي: إذا علمت أن انصباب علم البيان إلى التعرض للمجاز والكناية، فإنّ المجاز ينتقل فيه من الملزوم إلى اللازم، كما تقول: رعيناً غيثاً، والمراد لازمه وهو النبت، وإنّ الكناية ينتقل فيها من اللازم إلى الملزوم، كما تقول: فلان طويل النجاد، والمراد طول القامة الذي هو ملزوم طول النجاد، فلا علينا أن نتخذهما أصليين، ولا عتب في تأخير الكناية لكونها نازلة من المجاز منزلة المركّب من المفرد، ثم إنّ المجاز، أعني الاستعارة، من حيث أنها من فروع التشبيه، لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم إلى اللازم، بل لا بد فيها من تقدمة تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له، تستدعي تقديم التعرض للتشبيه، فلا بد أن نأخذها أصلاً ثالثاً ونقدمه، فهو إذا مهّرت فيه ملكت زمام التدريب في فنون السحر البياني⁴.

¹. عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص16.

². المرجع نفسه، ص14.

³. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، ص5.

⁴. السكّاكي، مفتاح العلوم، ص331، 330.

فائدته: لقد احتل البيان مكانا مرموقا لدى علماء اللغة والأدب فبواسطته يتمكن المتأدب من مجارة البلغاء من حيث وفائه بمقتضيات المعاني وبمتطلبات الذوق والجمال، ومدى إبحائها وبعدها مرماها الذي تهدف إليه، وإجادة قوانينه، وإبداع مهارته، وفهم أساليبه المتعددة، واختيار الأبلغ منها، والأوضح دلالة¹.

وأیضا من مكانته الوقوف على أسرار كلام العرب، منثوره ومنظومه، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة، وتباين في درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة عالية².

وبعد أن تعرفنا على علم البيان يمكن القول بأنه: هو الكشف عن المعنى المراد بطرق مختلفة لوضوح الدلالة لدى السامع، وبلوغ الغاية من مقاصد الكلام المسموع، وقد اختلف في واضعه، هناك من يقول بأن أبو عبيدة هو أول من وضع هذا العلم في كتابه مجاز القرآن، وهناك من يقول بأن السكاكي هو أول من وضعه في كتابه مفتاح العلوم، ونحن نميل إلى أن السكاكي هو واضع علم البيان، لأنه عرفه تعريفا شاملا، وقسم مباحثه بقواعد منطقية، وبيّن أصوله وفروعه، فللبیان منزلة عظمى في البلاغة العربية، فهو يبرز المعنى ويظهره في أحسن صورة التي لها تأثير في النفوس البشرية.

ثالثا: التفسير البياني:

تعريف التفسير البياني: نقدّم تعريفه اللغوي ثم الاصطلاحي على النحو الآتي:

أ. لغة: جاء في لسان العرب: الفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل وفي القرآن: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: 33]³

وفي المعجم الوسيط: فسّر الشيء فسرا: وضحه والتفسير هو الشرح والبيان⁴.

¹. جعفر السيّد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، ص196.

². يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص143.

³. ابن منظور، لسان العرب، مج5، ص55.

⁴. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 688.

قال الراغب: الفسر والسفر يتقارب معناها كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقل: سفرت المرأة عن وجهها، إذا ألفت الخمار عن وجهها، وأسفر الصبح: أضاء¹.

وجاء في معجم مقاييس اللغة: فسر كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فسرت الشيء وفسرته، والفسر والتفسر: نظر الطبيب إلى الماء وحكمه فيه².

حسب ما ورد في المعاجم التفسير في اللغة: على وزن تفعيل من الفسر بمعنى الكشف والشرح والبيان لإظهار المعنى المعقول.

ب. اصطلاحاً: قال أبو طالب التغلبي: التفسير بيان وضع اللفظ، إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق....الخ³.

وقال أبو نصر القشيري: التفسير مقصور على الاتباع والسماع، والاستنباط فيما يتعلق بالتأويل⁴.

عرفه أبو حيان بأنه: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتنمات لذلك .

ثم شرح التعريف فقال: « فقولنا "علم" هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هذا هو علم القراءات، وقولنا: "مدلولاتها" أي مدلولات تلك الألفاظ، هذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا "أحكامها الإفرادية والتركيبية" هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان وعلم البديع، وقولنا "معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب" يشمل ما دللته عليه بالحقيقة، وما دللته عليه

¹الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص636.

²أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، ج4، ص504.

³أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ج1، ص2262.

⁴المرجع نفسه، ص2264.

بالمجاز، وقولنا "تتمت لذلك" هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضيح ما أنبهم في القرآن ونحو ذلك»¹.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.²

بعد التعرف على التفسير بصفة عامة، فما هو التفسير البياني؟

هو التفسير الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام تنصب فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف واختيار لفظة على أخرى وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التعبير.³

2. ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير البياني:

إنّ الذي يتصدى للتفسير البياني يحتاج ما يحتاج إليه المتصدي للتفسير العام إلاّ أنه بحاجة أكثر إلى التبحر في العلوم الآتية: (علم اللغة، علم التصريف، علم النحو والتراكيب، علوم البلاغة). وبعبارة موجزة التبحر في علوم اللغة العربية فليس المقصود المعرفة اليسيرة فقط، بل ينبغي للمفسر البياني أن يكون على اطلاع واسع في علوم اللغة.⁴

جاء في البرهان: وليس لغير العالم بحقائق اللغة و مفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين.⁵

¹ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1993م، ط1، ص10.

² مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة الوهبة، القاهرة، ط7، ص 316، 317.

³ فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج2، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2002 م، ص 7.

⁴ المرجع نفسه، ص7.

⁵ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ج2، 1984م، ط3، ص165.

وجاء في الإتقان: يجوز تفسير القرآن لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً: أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع، الثاني: النحو لأن المعنى يختلف ويتغير باختلاف الأعراب، فلا بدّ من اعتباره، الثالث: التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ، الرابع: الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمرسح، هل هو من السياحة أو المرسح؟ الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع، لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، الثامن: علم القراءات، لأن به تعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات تُرجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض، التاسع: أصول الدين لما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما يجوز على الله، فالأصولي يؤول ذلك ما يجب وما يجوز، العاشر: أصول الفقه، إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط، الحادي عشر: أسباب النزول والقصص، إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه، الثاني عشر: النسخ والمنسوخ ليُعلم المُحكم من غيره، الثالث عشر: الفقه، الرابع عشر: الأحاديث المُبيّنة لتفسير المجمل والمبهم، الخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم¹.

وجاء في البرهان أيضاً: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها، أمّا بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

*من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها وهو يتعلق بعلم اللغة.

*ومن جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة وهو من علم التصريف.

*ومن جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها، وهو من علم الاشتقاق.

¹ أبو الفضل جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص 2293-2297.

وأما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابلة من حيث إنها مؤدية أصل المعنى، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني: باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، اعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكفل بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه وهو ما يتعلق بعلم البيان.

الرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابلة وهو ما يتعلق بعلم البديع. فالمعرفة الواسعة والتبحر في علوم اللغة من ألزم الأمور للمفسر، وهي للمفسر البياني ألزم، فينبغي له أن يعرف المجرد والمزيد وأغراض الزيادة واختلاف الصيغ ومدلولاتها، وأن يكون له باع طويل في معرفة الاشتقاق وأحوال المشتقات¹.

ويبدو أن علماء اللغة والتفسير يجمعون على أن التفسير البياني يشمل كل علوم اللغة من تصريف، نحو، تراكيب، وبلاغة، لكن نحن في بحثنا هذا اقتصرنا على الجانب البياني لعلم البلاغة فقط، لمعرفة خواص تراكيب الكلام من حيث اختلافها في طرق تأدية المقصود ومدلولاتها في أبهى صورة، على أمل أن يكمل الباحثون في الجوانب الأخرى للتفسير البياني.

3. منزلة التفسير: وأما شرفه فلا يخفى، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269]. أخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه وأمثاله. وأخرج أبو ذرّ الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبّير عن ابن عباس، قال:

¹. بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص173.

الذي يقرأ القرآن ولا يُحسن تفسيره، كالأعرابي يَهْذُّ الشَّعرَ هَذَا. معناه هَذَا في قراءته: أسرع.

قال الأصبهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن، فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى الطب، إذ ما من واقعة في الكون من أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه، لأن به انتظام صلاح الأحوال الدنيا والدين بخلاف الطب، فإنه يحتاج إليه الناس في بعض الأوقات، لذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث: أما من جهة الموضوع، فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع الحكمة، ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وأما من جهة الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفتنى، فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله.¹

من خلال هذا الطرح نتوصل إلى أن التفسير البياني علم غير يسير فهو يبحث في أسرار التعبير القرآني، ويجب على المفسر البياني أن يكون على اطلاع واسع في جميع علوم اللغة، لأن موضوعه هو كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى.

¹ أبو الفضل جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص2269.

خلاصة الفصل الأول:

بعد هذه المحاور المثارة بالبحث تبين لنا أن:

- *البلاغة قبل كل شيء ماهي إلا فن من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفيفة بين أصناف الأساليب.
- *البلاغة ليست في اللفظ وحده، وليست في المعنى وحده، ولكنها أثر لازم لسلامة تأليف هذين وحسن انسجامهما.

*علم التفسير علم غير يسير، قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يكون عالماً بالكثير من المجالات المعرفية مثل: معرفة الناسخ والمنسوخ وأوجههما، علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات.

* التفسير البياني هو جزء من التفسير العام، والتفسير يكون على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

*علم البيان كان من العلوم التي تولى غرسها المسلمون في سبيل فهم كتابهم، والذود عن قرآنهم، وكان نماؤه بعد ذلك، وتشعب مباحثه بتوجيه المفكرين من حملته ورجاله.

الفصل الثاني

الظواهر الفنية البيانية



أولاً: ظاهرة التشبيه .

ثانياً: ظاهرة الكناية.

ثالثاً: ظاهرة الاستعارة.

رابعاً: ظاهرة المجاز .

خلاصة.

إنَّ كرم رسول الله □ معنى من المعاني الشريفة، نريد أن نبينه بلفظ فصيح، فما سبيلنا في ذلك؟ وأي ثوب يلبسه هذا المعنى الكريم؟
 إنَّ لنا في بيان هذا المعنى أربعة طرق:
 الحقيقة المشبهة: فنقول: الرسول كالبحر كرماً وجوداً.
 الاستعارة: فنقول: الرسول بحر.
 المجاز: فنقول: زرنا في المدينة..... بحر الجود والكرم.
 الكناية: فنقول: رسول الله قد ملك جزيرة العرب.
 فهذه الطرق الأربعة تسمى الظواهر الفنية البيانية، التي سنتعرف على كل واحدة منها في هذا الفصل.

أولاً: ظاهرة التشبيه:

تعريف التشبيه:

أ. لغة: هو التمثيل، يقال: أشبه الشيء الشيء: ماثله، شابهه: أشبهه. شَبَّهَ عليه الأمر أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره. اشتبه الأمر: أشبه كل منهما الآخر حتى التباسا. التشبيه: التمثيل، الشَّبه: المِثْل، الشَّبه: النحاس الأصفر. الشُّبهة: الالتباس، في الشرع: ما التبس أمره فلا يدري أحلال أم حرام، وحق هو أم باطل، جمعه شُبُه. وفي النص القرآني المحكم والمتشابه، المُشَبَّه: نِحْلَة دينية يشَبُّه أصحابها الخالق بالمخلوقات.¹
 ذكر ابن فارس: شبه: يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا، يقال شَبَّه وشَبَّه وشَبَّبه، والشَّبه من الجواهر الذي يشبه الذهب، والمُشَبَّهات من الأمور: المشكلات، واشتبه الأمران، إذا أُشْكِلَا.²

وجاء في القاموس المحيط: الشَّبه: المِثْل، ج أشباه، وشابهه وأشبهه: ماثله، وأُمَّه: عَجَزَ، وضَعُفَ، وتشابها واشتَبَها: أشبه كل منهما الآخر حتى التباسا، وشَبَّهه إِيَّاه وبه

¹. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 471.

². أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ص 243.

تشبيها: مثله، وأمور مشتبهة ومشبهة، كمُعْظَمَة: مُشْكَلة، والشُّبْهَة: الالتباس، والمِثْل، وشُبُّه عليه الأمر تشبيها: لبس عليه، وفي القرآن المُحْكَم والمتشابه، والشَّبه والشبهان: النحاس الأصفر¹.

ب. اصطلاحاً: يعرف علماء البيان التشبيه بقولهم: هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر، في معنى مشترك بينهما، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة، أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام².

وخلاصة القول أن التشبيه: هو التمثيل، ويدل على مشاركة أمر لأمر، محاولاً الربط بين شيئين تجمعهما صفة ما.

2. الفرق بين التشبيه والتمثيل:

التشبيه والتمثيل في اللغة لفظان مترادفان على معنى واحد، ولكنهما في اصطلاح البيانيين يخالف كل منهما الآخر.

حيث إن التشبيه عام والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيل³. يسمى التشبيه تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وغير تمثيل إذا لم يكن وجه الشبه كذلك⁴.

مثال ذلك قول ابن المعتز على السحابة المثقلة بالماء:

كأنَّ سماءَها لَمَّا تَجَلَّتْ ❁❁❁ خِلالَ نجومِها عندَ الصِّباحِ.

رياضُ بنفسجٍ خَضِلٍ نَداهُ ❁❁❁ تَفَتَّحَ بَيْنَهُ نَوْرَ الأَقْصاحِ⁵.

يشبّه ابن المعتز صورة السماء والنجوم منثورة فيها وقت الصباح، بصورة رياض من

¹ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط6، 1998م، ص1247.

بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 13. ²

عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م، ص73. ³

علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، ص30. ⁴

ابن المعتز، الديوان، دار صادر، بيروت، د ت، د ط، ص149. ⁵

البنفسج تخللتها أزهار الأقاحي، فوجه الشبه هنا ليس مفردا ولكنه صورة منتزعة من متعدد، وهو صورة شيء أزرق انتشرت في أثائه صور صغيرة بيضاء¹. فنقول هو تمثيل.

3. أركان التشبيه: للتشبيه أربعة أركان: (المشبه، المشبه به، وجه الشبه، أداة التشبيه)، ويسمّون المشبه والمشبه به: طرفي التشبيه.

والفرق بين الركن والطرف في التشبيه: هو أن الركن يمكن وجود التشبيه بدونه، بل إن حذفه أفضل من ذكره، أمّا الطرف فلا يمكن التشبيه بدونه². مثال: أحمد كالصقر في حدة نظره. فالأركان هي: أحمد(المشبه)، الصقر(المشبه به)، الكاف (أداة التشبيه)، حدة النظر(وجه الشبه). أما طرفا التشبيه فهي: أحمد(المشبه)، الصقر(المشبه به).

4. طرفا التشبيه: نتناولها من حيث: مادتها، افرادها وتركيبها، تعددها.

4.1. مادة الطرفين: ينقسم الطرفان إلى حسيين، أو عقليين، أو مختلفين.

أ. الطرفان الحسيان: أي مدركان بإحدى الحواس الخمس الظاهرة مثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: 58].

يجب أن نضيف إلى أن هناك من الحسي ما لا تدركه الحواس الخمس، لكن تدرك مادته فقط وسمي هذا التشبيه بالتخييلي³.

مثل ذلك: قول الصنوبري يصف الطبيعة في الربيع:

وكان محمرّ الشقيـ♣♣♣ق إذا تصوّب أو تصعّد

أعلام ياقوت نشر ♣♣♣ن على رماح من زبر جد

فإن الأعلام والياقوت والرماح والزبرجد محسوس على انفراده، لكن المركب الذي مادته هذه الأمور ليس بمحسوس لأنه غير موجود(والحس خاص بالموجودات)، فالمشبه مفرد

¹. علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبدیع، ص263.

². يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص144.

³. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص221.

وهو الشقيق، والمشبّه به مركب وهو الهيئة الحاصلة من نشر أجرام حُر مبسّطة على رؤوس أجرام خُضر مستطيلة¹.

ب. **الطرفان العقليان**: أي مدركان بالعقل أو بالوجدان، مثل: العلم كالحياة، وهنا نوّد أن نضيف ملاحظة وهي: أن العقل قد يخترع صورة لا وجود لها في الواقع مادتها الأساسية عقلية، أما تركيبها في صورة تشبيه فشيء غير موجود ويسمى التشبيه الوهمي، مثال ذلك: الخوف يفترسني كأنه أنياب الغول. فالغول حيوان لا وجود له في الواقع وإنما هو اختراع من اختراعات العقل الخائف.

وقوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفّات: 65]

على اعتبار أن الشيطان ليس له وجود خارجي محسوس وإنما هو من عالم الغيب².

ج. **الطرفان المختلفان**: وهما المركبان من:

أ- مشبّه حسي ومشبّه به عقلي نحو: هذا العطر الفواح كأخلاقك العالية. فالعطر هو المشبّه المحسوس، والأخلاق هو المشبّه به العقلي.

ب- المشبّه عقلي والمشبّه به حسيّ نحو: الوقت كالسيف.

2.4. **أفراد الطرفين وتركيبهما**: قد يكون الطرفان مفردين.

إما مفردان مطلقان: هو الذي خلا من التقييد نحو: ضوءه كالشمس.

أو مفردان مقيدان: هو الذي أتبع بإضافة، أو وصف أو حال أو سوى ذلك مثل: الكتاب الجديد³.

*وقد يكون الطرفان مركبين لم يمكن أفراد أجزائهما كقول الشاعر:

كَأَنَّ سُهَيْلاً وَالنَّجُومَ وَرَاءَهُ ❖❖❖ صُفُوفُ صَلَاةٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا.

*وقد يكون الطرفان مختلفين:

¹. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص231.

². بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص18.

³. المرجع نفسه، ص20.

إما مفرد بمركب كقول الخنساء في رثاء أخوها:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمَّ الْهُدَاةُ بِهِ ❀❀❀ كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارًا¹.

وإما مركب بمفرد نحو: الماء المالح كالسم².

3.4. تعدد الطرفين: كثيرا ما يعتمد الأدباء إلى تشبيه عدة أشياء مفردة بعدة أشياء مفردة

فيقولون: هند وسعاد كالشمس والقمر، ولقد سمى البلاغيون هذا اللون أسماء تبعا

لأوضاعها المتعددة، على النحو الآتي:

أ. **التشبيه الملفوف:** فيه يتعدد الطرفان، ويجمع كل طرف مع مثله، بأن يؤتى بالمشبهات

أولا، ثم بالمشبهات بها ثانيا³.

كقول امرئ القيس:

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا ❀❀❀ لَدَى وَكْرَهَا الْعَنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي⁴.

ب. **التشبيه المفروق:** فيه يتعدد الطرفان، وذلك بأن يؤتى بالمشبه والمشبه به معه على

التوالي نحو:

النسر مسك والوجوه دنا ❀❀❀ نير، وأطراف الأكفّ عنم.

ج. **تشبيه التسوية:** فيه يتعدد المشبه وحده، ويبقى المشبه به مفردا⁵. كقول الشاعر:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّقَعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ❀❀❀ وَأَسْيَافُنَا لَيْلَ تَهَاوَى كَوَاكِبِهِ.

د. **تشبيه الجمع:** وهو ما تعدد فيه المشبه به، دون المشبه، وسمي بتشبيه الجمع، للجمع

فيه بين مشبهات بها ثلاث⁶. كقول البحري يمدح أبا (نوح عيسى بن ابراهيم):

بَاتَ نَدِيمًا لِي حَتَّى الصَّبَاحِ ❀❀❀ أَغْيَدُ مَجْدُولُ مَكَانِ الْوِشَاحِ.

¹ الخنساء، الديوان، شرح حمّو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 2004م، ط2، ص46.

² أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص224، 223.

³ بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص22.

⁴ امرئ القيس، الديوان، تح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ط5، عنوان القصيدة: ألا عم

صباحا، ص129.

⁵ بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص23.

⁶ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص231، 226.

كَأَنَّمَا يَضْحَكُ عَنْ لُؤْلُؤٍ ♣♣♣ مُنْظَمٍ أَوْ بَرْدٍ أَوْ أَقَاخٍ.¹

5. أدوات التشبيه: تتمثل في كل لفظ يدل على المشابهة، وقد تكون حرفاً (الكاف وكأن)، أو اسماً (مثل، شبه، مماثل، مضارع، محاك، وما كان بمعناها أو مشتقاً منها)، أو فعل ماثلاً، شابه، حاكى، جعل، حسب، خال وغير ذلك مما كان بمعناها.²

6. أقسام التشبيه: يقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه وأداة التشبيه إلى:

أ. التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة، فهو التشبيه الذي قيل بطريقة عفوية، أي أرسل بلا تكلف، فذكرت أداة التشبيه بين الطرفين نحو: العمر مثل الضيف.

ب. التشبيه المؤكد: ما حذفته منه الأداة، ويقصد بالمؤكد أي التشابه بين الطرفين أكيد نحو: الجواد في السرعة برق خاطف.

ج. التشبيه المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه نحو: قول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء ♣♣♣ تجتليك العيون شرقاً وغرباً.

د. التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه، أي أن التشبيه مختصر مجموع نحو: قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: 22].³

7. أنواع التشبيه: للتشبيه عدة أنواع من أهمها:

أ. التشبيه البليغ: وهو ما حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه وهو التشبيه المؤكد المجمل. نحو: أنت شمس.

لقد زالت الفروق بين الأنت والشمس وأصبحت شيئاً واحداً، وزاد في هذا السمو للممدوح حذف وجه الشبه الذي يقيد الصورة ويحدد معالم الجمال فيها.

لقد اتسع أفق الصورة الفنية حين غاب وجه الشبه، فشمّل كل شيء يخطر في بال أديب أو عالم.⁴

¹ البحتري، الديوان، تح حسن كامل الصّرفي، دار المعارف، مصر، 1964م، ط3، المجلد 1، ص435.

² عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص36.

³ يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص145.

⁴ بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص40.

ومن التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدرا مبينا للنوع، نحو: انطلق الجندي انطلاق السهم، ومنه إضافة المشبه به للمشبه نحو: لبس أبي ثوب العافية، ومنه أن يكون المشبه به حالا نحو: حمل القائد على أعدائه هزبرا.

أرأيت إلى ما يصنعه هذا التشبيه المؤكد المجمل، الذي حمل اسما آخر وهو التشبيه البليغ من آيات الجمال والروعة والبيان.¹

ب. التشبيه المقلوب: الأصل في التشبيه أن يكون المشبه به أقوى وأظهر من المشبه لنتم العملية الفنية، ولكن قد يخرج بعض الأدباء على هذه القاعدة، فيشبهون الأعظم بالأصغر، والأبعد بالأقرب..... الخ فيقول قائلهم: البدر يشبه وجه أمي، في الحقيقة وجه أمه هو الذي يشبه البدر، لكن القائل من فرط حبه لأمه وإعجابه بها، قلب التشبيه فجعل الكبير صغيرا والصغير كبيرا، هذا التشبيه الذي تبادل فيه طرفا التشبيه واقعهما هو ما دعاه البلاغيون بالتشبيه المقلوب.²

وأبو الفتح عثمان ابن جني في كتابه "الخصائص" يسمي هذا النوع من التشبيه (غلبة الفروع على الأصول) ويقول: "هذا فصل من فصول العربية طريف، تجده في معاني العرب كما تحده في معاني الأعراب، ولا تكاد تجد شيئا من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة."³

أي أن التشبيه المقلوب: هو جعل المشبه مشبها به بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأظهر. ومن أمثلة ذلك قول محمد بن وهيب الحميري في مدح الخليفة المأمون:

وبدا الصَّبَّاحُ كأنْ غُرَّتْهُ ❖❖❖ وَجْهُ الخليفة حين يُمتَدِّحُ.

فالشاعر قلب التشبيه في هذا البيت، إذ شبّه غرة الصباح بوجه الخليفة إيهاما أن الإشراف "وجه الشبه" أتم في وجه الخليفة منه في الصباح.⁴

ج. التشبيه الضمني: تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه

¹. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص41.

². المرجع نفسه، ص42.

³. المرجع نفسه، ص44.

⁴. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص160.

المعروفة بل يلحان في التركيب¹، ومن بواعث ذلك: التفنن في أساليب التعبير، والنزوع إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه، والرغبة في إخفاء معالم التشبيه، لأنه كلما خفي ودقّ كان أبلغ في النفس².

ومثاله: قول أبي الفراس الحمداني من قصيدة نظمها في بلاد الروم أيام أسره.

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ ❁❁❁ وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ³.

شبه الشاعر نفسه بالبدْر وشبه الحروب والظروف العصبية بالظلام، وشبه حاجة قومه إليه أيام الأزمات كحاجة الناس إلى ضياء البدر في الليالي الحالِكات..... وقد ضمن أبو فراس بيته هذا التشبيه دون أن يصرح بمشبه ومشبه به⁴.

د. التشبيه التمثيلي: هو ما يكون وجه الشبه فيه وصفا مركبا منتزعا من متعدد-أمرين أو أكثر⁵ ويجب التفريق بين وجه الشبه المركب ووجه الشبه المتعدد، فالمتعدد هو القابل للتجزئة والانفصال وصحة الاستغناء عن بعض العناصر التي تألف منها. أمّا المركب فهو الصورة المتكاملة المتماسكة، غير القابلة للتجزئة أو الانقسام⁶.

مثال ذلك: من القرآن الكريم حيث يرى أن أعمال الكفار لا نفع فيها، ولا خير منها، فيصور ذلك بعدة صور مطنبا مرة، وموجزا أخرى، ليستقر المعنى في النفس، ويحدث أثره في القلب قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: 18].

فقد وجد القرآن في الرماد الدقيق الذي لا يقوى على البقاء أمام الريح في يوم عاصف شبها لأعمالهم التي لا أثر لها ولا نتيجة⁷.

¹. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص242.

². بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص48.

³. أبو فراس الحمداني، الديوان، تح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ط2، ص165.

⁴. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية ص151.

⁵. عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص54.

⁶. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص33.

⁷. عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص54، 55.

8. أغراض التشبيه:

الغرض من التشبيه هو إظهار صفة المشبه عن طريق مقابلتها بصفة مماثلة هي صفة المشبه به، غير أنها أعظم منها، وذلك توضيحاً وإبرازاً لها، وتبيناً لهذه الغاية تكمن فوائد كثيرة منها:¹

أ. بيان حال المشبه: وذلك حينما يكون غير معروف الصفة قبل التشبيه فيفيده التشبيه الوصف، ومن ذلك قوله تعالى في بيان حال المنافقين في نفارهم عن الحق، وذهابهم عن الدين وإعراضهم عن الاستماع للقرآن ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَفِرَّةٌ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المذثر: 49-50]

ب. بيان إمكان حال المشبه: وذلك حين يسند إليه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروف واضح. نحو قول ابن الرومي:

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت ❖❖❖ وقع السهام ونزعهن أليم.

ج. بيان مقدار حال المشبه: وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، وكأن التشبيه يبين مقدار هذه الصفة كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: 47].

د. تزيين المشبه: وذلك بتحسينه وتجميله، وإظهاره في صورة ترغبها النفس كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: 22-23]

ه. تقبيح المشبه: وذلك بإلحاقه بمشبه به قبيح ومكروه كقوله تعالى في شجرة الزقوم ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: 65]

و. تقرير صفة المشبه في ذهن السامع: بإبرازها فيما هي فيه أظهر، كقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودُّها ❖❖❖ مثل الزُّجاجة كسرُها لا يُجبر.²

¹ يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 162.

المرجع نفسه، ص 163.

9. بلاغة التشبيه:

تنشأ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه إلى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثله، وكلما كان الانتقال بعيدا قليل الخطورة بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها فإذا قلت: إن الأرض تشبه الكرة في الشكل. لم يكن لهذه التشبيهات أثر في البلاغة، لظهور المشابهة وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة وجهد أدبي، ولخلوها من الخيال. وهذا الضرب من التشبيه يقصد به البيان والإيضاح وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون. ولكنك تأخذك روعة التشبيه حينما تسمع قول المعري يصف نجما:

يُسْرِغُ اللَّمَحَ فِي أَحْمَرٍ كَمَا تُسْـ ٣ ٣ ٣ ٣ رِغُ فِي اللَّمَحِ مُقْلَةُ الْغَضْبَانِ¹.

فإن تشبيه لمحات النجم وتألقه مع احمرار ضوئه، بسرعة لمحة الغضب، من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلا لأديب.

هذا وقد جرى القدماء والمحدثون على تشبيهه الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالأسد، والنجوم بالذّرر والأزهار، والعلي منزلة بالنجم.....الخ.

وقد اشتهر رجال من العرب بخلال محمودة فصاروا فيها أعلاما فجرى التشبيه بهم: فيشبهه الوفي بالسّمّوع، والكريم بحاتم، والعادل بعمر.....الخ واشتهر آخرون بصفات مذمومة فجرى التشبيه بهم أيضا فيشبهه العيّ بباقل، النادم بالكسعي، البخيل بمادر.....الخ.²

ومما سبق ذكره حول التشبيه نستخلص بأنه صورة جمالية يستتبطها المتكلم لبيان المعنى وتقريبه إلى السامع، وهو ذو مجال واسع، يتكون من أربع أركان: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، ووجه الشبه، وينقسم إلى أربعة أقسام: المرسل، المؤكد، المفصل، والمجمل.

¹. أبو العلاء المعري، ديوان سقط الزند، دار بيروت، لبنان، 1957م، د.ط، ص95.

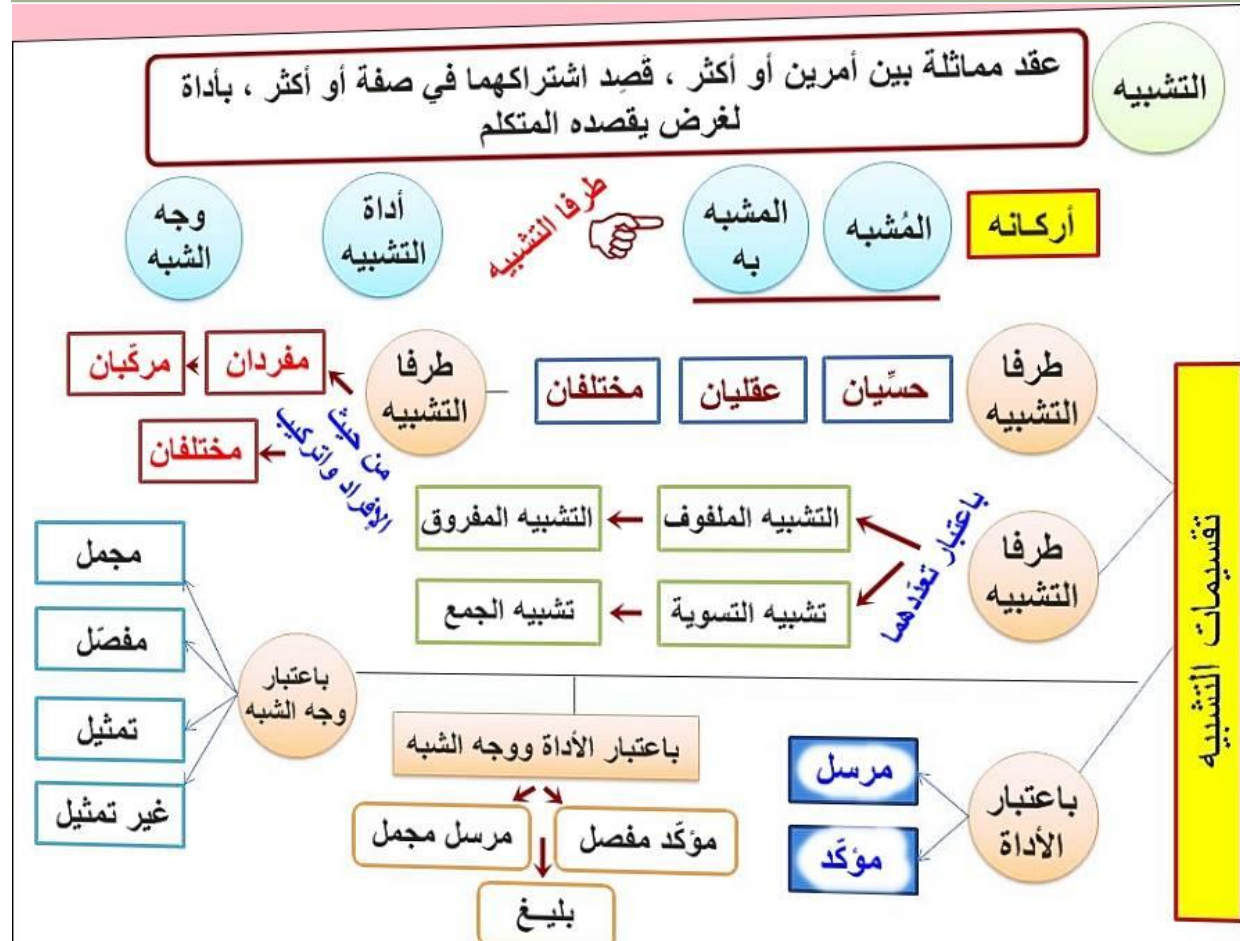
². انظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبدیع، ص 55. و أحمد الهاشمي، جواهر

البلاغة، ص245، و بكری شیخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 58.

ويتنوع إلى بليغ، ضمني، مقلوب، تمثيلي...، والغرض منه المبالغة، وإضفاء صفة الجمال في التعبير. مما يؤدي إلى تحريك النفس و إعجابها به.

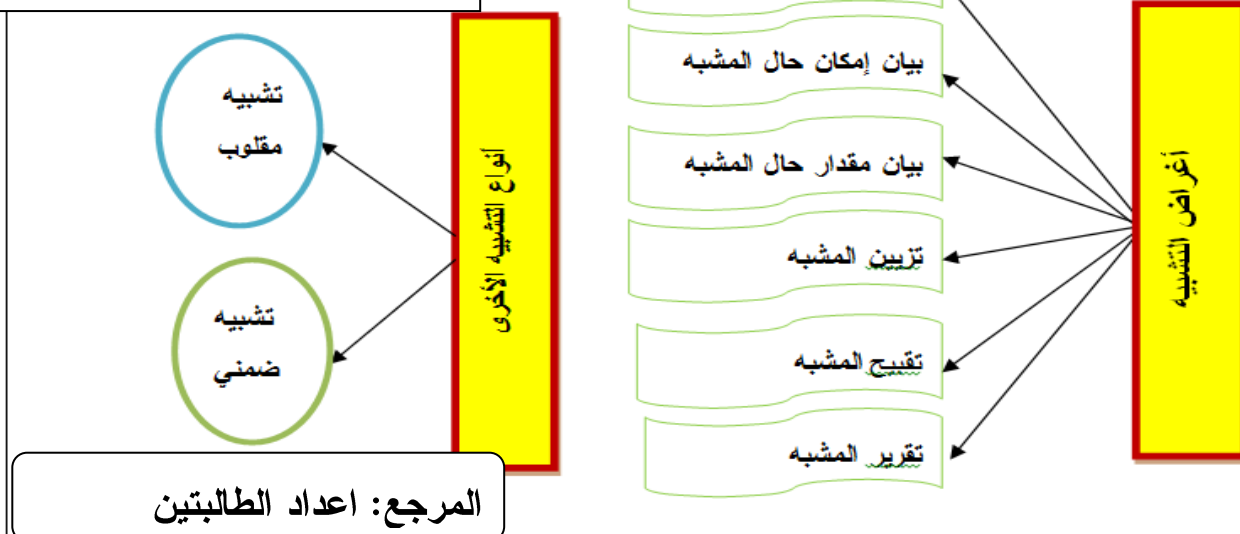
وفي الشكل الموالي تعرض ملخصات عن العناصر التي تناولناها سابقا وهي: التشبيه، أركانه، تقسيماته، أنواعه، أغراضه.

مخطط يلخص الصورة التشبيهية



المرجع/ <http://www.sunnti.com/vb/> :

منتديات اهل السنة في العراق



تعريف الكناية:

أ. لغة: مصدر كنا به عن كذا يكنى أو يكون، إذا تكلم بشيء يستدل به على غيره، أو يراد به غيره¹.

جاء في لسان العرب: الكناية: أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه، والكناية على ثلاثة أوجه: أحدهما أن يُكنَى عن الشيء الذي يستفحش ذكره، والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا و تعظيما، والثالث أن تقوم الكناية مقام الاسم فيعرف صاحبها بها كما يعرف باسمه كأبي لهب اسمه عبد العزى، وعرف بكنيته فسمله الله بها، وقد تكنى: أي تستر².

ب. اصطلاحا: يعرفها علماء البيان بقولهم: هي أن يعبر عن شيء بلفظ غير صريح، في الدلالة عليه لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع أو لنوع الفصاحة³.

أو هي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، فالصلة بين المعنى الحقيقي والمجازي في الكناية هي صلة التلازم وفي الاستعارة صلة التشابه⁴.

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: 29]

فالغل إلى العنق كناية عن البخل، وفي الكناية تصوير محسوس لهذه الصفة الذميمة في صورة منفردة، والبسط كناية عن الإسراف والتبذير وهو تصوير له بصورة ملموسة تجعل المعنى قويا مؤثرا⁵.

¹. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ط2، ص761.

² ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص233.

³. المرجع نفسه، ص761.

يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص212. ⁴.

عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص256. ⁵.

2. أقسام الكناية: جرى تقسيم الكناية في الدرس البلاغي عند العرب باعتماد معيارين أساسيين هما:

نوع المكنى عنه: صفة أو موصوف أو نسبة.

المسافة الفاصلة بين اللفظ والمعنى المقصود: التلويح، الإشارة، الرمز، التعريض، الدوران، التلطيف.

1.2. أقسام الكناية باعتبار نوع المكنى عنه:

أ. كناية عن صفة: وهي التي تطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية، كالكرم والشجاعة والحلم والغنى والجمال، ليس النعت المعروف في علم النحو، وفي هذا النوع من الكناية يذكر الموصوف، وتستتر الصفة مع أنها هي المقصودة والموصوف هو الملزوم الذي تلزم عنه الصفة أو وتلازمه، ومنه تنتقل إليها.¹

من أمثلتها قول المتنبي في إيقاع سيف الدولة بأعدائه:

فَمَسَّاهُمْ، وَبَسَطُهُمْ حَرِيرٌ ♣♣♣ وَصَبَّحَهُمْ، وَبُسَطُهُمْ تُرَابٌ².

أراد المتنبي أن يقول أنهم كانوا في المساء سادة أعزاء، ثم صاروا في الصباح بعد الإيقاع بهم فقراء أذلاء.....أو قتلوا.

فالتعبير (بسطهم حرير) و (بسطهم تراب) كنايةتان عن صفتي الغنى والفقر....

كما يجوز إرادة المعنى الأصلي لبسط الحرير و بسط التراب.³

ب. كناية عن موصوف: وبها تذكر الصفة، ويستتر الموصوف مع أنه هو المقصود، والصفة هي اللازم من الموصوف، ومنها تنتقل إليه. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمُ بِالْبَنِينَ، وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ، أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 16-17]

يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 213. ¹

². المتنبي، الديوان، ص 384.

³. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 144.

18] فالله سبحانه وتعالى يستتكر من الكافرين زعمهم حين جعلوا الملائكة بنات الله، واختار لهم البنين، والعرب يتشاءمون بالأنثى، وتمتلئ قلوبهم كآبة وغما إذا بشر أحدهم بولادتها، فهم يفترون على الله الكذب، وينسبون إليه ما من شأنه أن يتربى في النعمة وينشأ في الزينة، فالتنشئة في الزينة من صفات النساء، فعبر الله تعالى بهذا القول، وأراد المرأة، والمرأة موصوف، فالآية كناية عن موصوف¹.

ج. كناية عن نسبة: وبها يذكر الموصوف، ويذكر معه شيء ملازم له، ونذكر الصفة، ثم تنسب هذه الصفة إلى الشيء الملازم للموصوف، فهي إذن تخصيص الصفة بالموصوف، أو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه. ومن أمثلة ذلك قول أحمد شوقي:

سكن الثريا مُستقر جلاله ♣♣♣ ومشت مكارمه إلى الأمصار.

يريد شوقي أن ينسب إلى ممدوحه الكرم، لكنه بدل أن ينسب إليه الكرم بصريح اللفظ، كنى عن نسبة الكرم إليه بقوله (ومشت مكارمه إلى الأمصار)، لأنه يلزم من ذلك اتصافه به².

2.2. أقسام الكناية باعتبار المسافة الفاصلة بين اللفظ والمعنى المقصود:

أ. التلويح: لغة: أن تشير إلى غيرك من بعد.

اصطلاحاً: هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض، نحو قول الشاعر:

وما يكُ فيَّ من عيبٍ فإنِّي ♣♣♣ جبان الكلب مهزولُ الفصيل.

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل، فإن الفكر ينتقل إلى جملة الوسائط. فهذه كناية عن كرم الرجل بأسلوب التلويح³.

ب. الإشارة أو الإيماء: وهي كناية قليلة الوسائط... تدل على المعنى المراد دلالة مباشرة كأنها تؤمى إليه وتشير⁴، أو بعبارة أخرى: هو الذي قلت وسائطه مع وضوح اللزوم بلا تعريض. كقول الشاعر البحتري:

¹. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص214.

². المرجع نفسه، ص216، 217.

³. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص154.

⁴. المرجع نفسه، ص155.

أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ ❁❁❁ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ¹.

كناية عن كونهم أمجاداً أجوداً بغاية الوضوح².

ج. الرمز لغة: الإشارة بالشففتين أو العينين أو الحاجبين، أو الفم أو اليد أو اللسان، يرمز ويرمز. والرميز: الكثير الحركة³ وأكثر ما يكون ذلك على سبيل الخفية.

اصطلاحاً: هو الذي قلّت وسائله مع خفاء في اللزوم بلا تعريض. نحو: عريض القفا، أو عريض الوسادة، كناية عن بلادته وبلاهته. ونحو: غليظ الكبد، كناية عن القسوة وهلم جرا.

د. التعريض:

لغة: خلاف التصريح.

اصطلاحاً: هو أن يطلق الكلام، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق، نحو قولك للمؤذي: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده." تعريضاً ينفي صفة الإسلام عن المؤذي⁴.

تحدث ابن الأثير في المثل السائر فقال: "وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً، وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرّقوا بينهما، ولا حدّوا كلا منهما بحد يفصله عن صاحبه، بل أوردوا لهما أمثلة من النثر والنظم، وأدخلوا أحدهما في الآخر، فذكروا للكناية أمثلة من التعريض، وللتعريض أمثلة من الكناية، فمن فعل ذلك الغانمي وابن سنان الخفاجي والعسكري⁵."

يفرّق بينهما من ثلاثة وجوه:

¹. البحتري، الديوان، المجلد 3، ص 1749.

². أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 290.

³. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 512.

⁴. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 289.

⁵. ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر،

الغجالة، القاهرة، د. ط، القسم 3، ص 49.

د.1. أن الكناية واقعة في المجاز ومعدودة منه، بخلاف التعريض فلا يعد منه، لأنه مفهوم من جهة السياق والمفهوم، فلا تعلق له باللفظ لا من جهة حقيقته ولا من جهة مجازه.

د.2. الكناية تقع في اللفظ المفرد والألفاظ المركبة، بخلاف التعريض فإنه لا موقع له في اللفظ المفرد. والدليل على ذلك أن التعريض لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنما يفهم من جهة التلويح والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب.

د.3. التعريض أخفى من الكناية، لأن دلالة الكناية مدلول عليها من جهة اللفظ، بخلاف التعريض فإنما دلالاته من جهة القرينة والإشارة، ولا شك أن كل ما كان اللفظ يدل عليه فهو أوضح. والتعريض أخص من الكناية، فكل تعريض كناية، وليس كل كناية تعريض، فهي أعم منه.¹

3. بلاغة الكناية:

الكناية مظهر من مظاهر البلاغة، وأسلوب من أساليب البيان، وغاية لا يقوى على الوصول إليها إلّا كل بليغ متمرّس، لطف طبعه، وصفت قريحته.

والسرّ في بلاغتها أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، والقضية في طيّها برهانها، ولهذا كانت أبلغ من الإفصاح، وأشدّ وقعا من التصريح.

إنها تحمل في طواياها نفحة من نفحات المبالغة، تضيف على المعنى حسنا وبهاء وتزيد الصورة وضوحا وجلاء، وتظهر هذه الخاصية جلية في الكنايات عن الصفة و النسبة ومن أسباب بلاغتها أنها تضع لك المعاني في صورة المحسّنات، وتلك هي خاصة الفنون. فإن المصوّر إذا رسم لك صورة للأمل أو اليأس بهرك، وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا.

كذلك فإنها تؤدي إليك المعنى الكبير في قليل من اللفظ، وذلك هو الإيجاز الذي يمثل عنصرا من عناصر رفيع التعبير والإعجاز.

عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص 278.¹

وهي بالإضافة إلى هذا كله وسيلة للتعبير عن أمور لا تحب أن تصرح بها، ولا أن تذكرها باسمها الأصيل، وليس إلّا الكناية من يقوم بهذا العبء، ويحقق لك ما تريد.

لا ننسى أن الكناية كانت بصورها المختلفة وبوسائطها المتعددة مركب المتصوفة ومدّاح الرسول الكريم ﷺ، كما هي وسيلة الأدباء المعاصرين الذين يخشون أن يصرّحوا بما يجدون في حياتهم فتبتر منهم الأعناق، أو تخنق فيهم الأصوات.¹

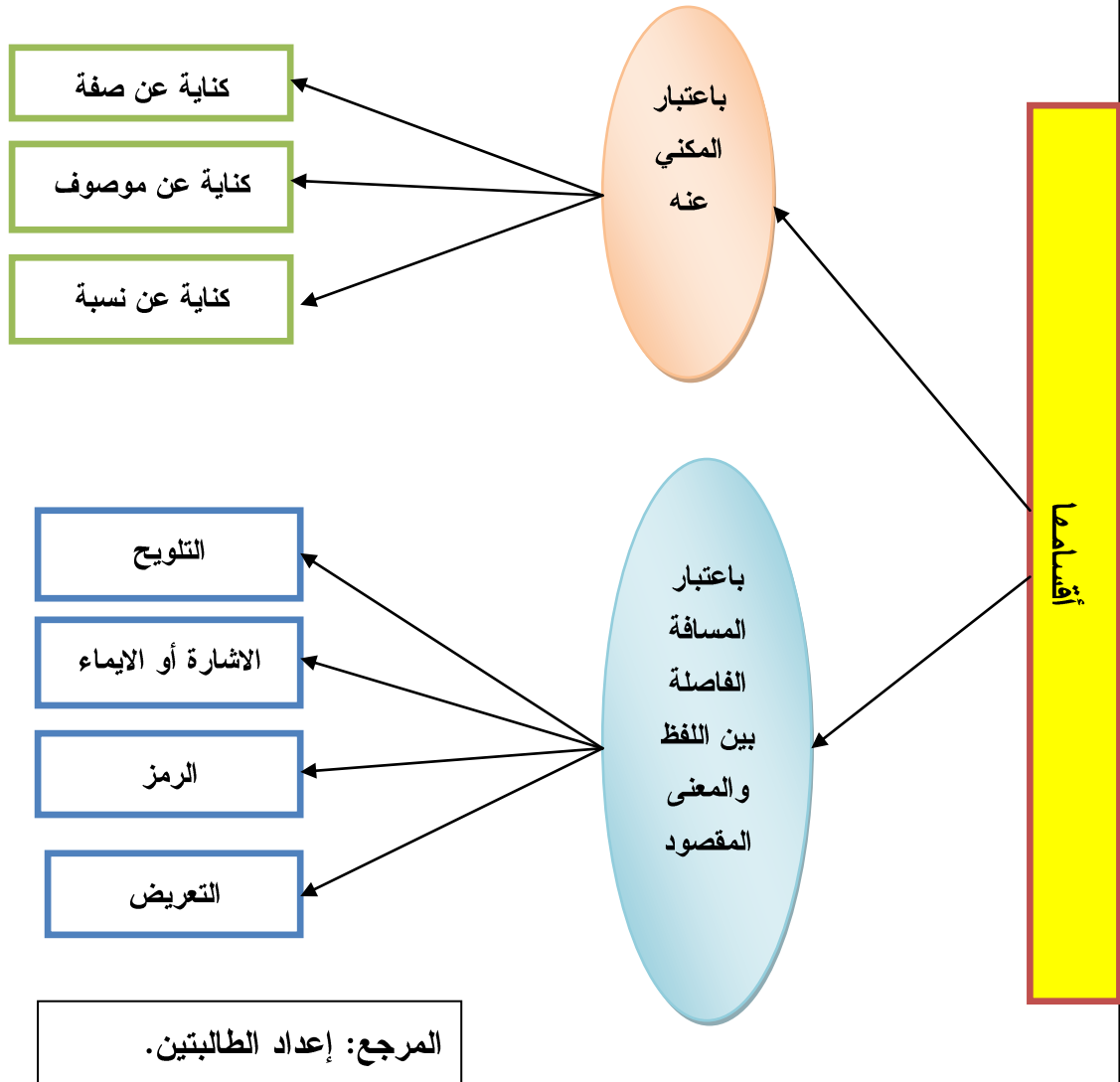
بعد هذا الطرح الموجز للكناية يمكن القول بأن المعنى اللغوي والاصطلاحي قد يتقاربا، ففي اللغة تصل الكناية إلى معنى التستر، وكذا في الاصطلاح فهي تفيد التغطية، وذلك من الستر. وقد قسم علماء البلاغة الكناية باعتبار معيارين أساسيين هما: نوع المكني عنه، والمسافة الفاصلة بين اللفظ والمعنى المقصود، ويجب التفريق بين الكناية والتعريض، فكل كناية تعريض، وليس كل تعريض كناية، فهي أعم منه، وهي من الفنون البلاغية التي تؤدي دورها في تقوية المعنى وإبرازه، فهي تمتاز بالإقناع والإمتاع، لأنها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، وهي أبلغ من الإفصاح، وأشدّ وقعا من التصريح، كذلك فإنها تؤدي إليك المعنى الكبير في قليل من اللفظ، استعملها مدّاح الرسول الكريم ﷺ، وكذا الأدباء المعاصرين، للتعبير عما يختلج في صدورهم. وفيما يلي نوضح في مخطط بسيط الكناية وأقسامها.

بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 168 و171.¹

مخطط يلخص الصورة الكنائية

الكناية

لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى، فالصلة بين المعنى الحقيقي والمجازي في الكناية هي صلة التلازم.



ثالثاً: ظاهرة الاستعارة:

1. تعريف الاستعارة:

أ. لغة: جاء في المعجم الوجيز: استعار الشيء منه: طلب أن يُعطيه إيّاه، ويُقال: استعاره إيّاه. وفي علم البيان هي استعمال كلمة بدل أخرى لعلاقة المشابهة مع القرينة الدالة على هذا الاستعمال¹.

ب. اصطلاحاً: فقد وصفها سيّد البلاغة وشيخ الذوق عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة فقال: "واعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول، وهي أمدّ ميداناً، وأشدّ افتتاناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسع سعة، وأبعد غوراً، وأذهب نجداً في الصناعة وغوراً، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحضر فنونها وضروبها، وأسحر سحراً، وأملأ بكل ما يملأ صدراً، ويمتع عقلاً، ويؤنس نفساً، ويوقّر أنساً."²

الاستعارة: أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه، وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به، فتعيره المشبه، وتجريه عليه. تريد أن تقول: رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: (رأيت أسداً).³

والمعنى المتبادر إلى أذهاننا هو أن الاستعارة هي ضرب من المجاز اللغوي، وهي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، أو استعمال كلمة بدل أخرى، وعلاقتها المشابهة دائماً.

2. أنواعها: تقسم الاستعارة باعتبار طرفها أو باعتبار اللفظ المستعار أو باعتبار الملائم.

1.2. الاستعارة باعتبار طرفها:

أ. الاستعارة التصريحية: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.¹

¹ إبراهيم مذكور، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1992م، د.ط، ص440.

عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص36.²

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ص114.³

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1] في الآية الكريمة شبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور ثم حذف المشبه "الكفر-الإيمان" وصرح بالمشبه به "الظلمات - النور" على سبيل الاستعارة التصريحية ومن هنا نلاحظ أن في كل استعارة ثلاثة عناصر هي : المستعار منه : هو المشبه به .

المستعار له : هو المشبه .

المستعار: هو اللفظ الذي يؤخذ من المشبه به إلى المشبه.

مثل قول المتنبي وقد قابله ممدوحا و عانقه:

فلم أرَ قبلي مَنْ مَشَى الْبَحْرَ نَحْوَهُ ♣♣♣ ولا رَجُلًا قَامَتْ تُعَانِقُهُ الْأُسْدُ².

لنستخرج عناصر الاستعارة من الشطر الثاني في البيت:

المستعار منه: الأسد، وهو المشبه به

المستعار له: الرجال الشجعان، هو المشبه المحذوف.

اللفظ المستعار: تعانقه، وهي القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي، أي معانقة الأسود

للشاعر.....والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي هي المشابهة بين الشجعان والأسد.³

ب.الاستعارة المكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه. ومن

أمثلتها قوله تعالى على لسان زكرياء عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ

الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:3]

شبه الرأس بالوقود ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (اشتعل) على

سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس.⁴

1. عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص163.

2. المتنبي، الديوان، دار بيروت، بيروت، 1983م، د.ط، ص199.

يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 187، 186.

4. المرجع نفسه، ص 188.

2.2. الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار: يقسم البلاغيون الاستعارة تقسيماً آخر باعتبار لفظها المستعار إلى أصلية وتبعية وتمثيلية.

أ. الاستعارة الأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً جامداً غير مشتق، ومثال ذلك في قول الشاعر التهامي يرثي ابنه:

يا كوكبا ما كان أقصر عمره ♣♣♣ وكذاك عمر كواكب الأسحار¹.

وإذا تأملنا اللفظ المستعار (الكوكب) رأيناه اسماً جامداً غير مشتق، ومن أجل ذلك يسمى هذا النوع من الاستعارة: استعارة أصلية².

ب. الاستعارة التبعية: فهي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقاً أو فعلاً، والمشتقات هي: الفعل المتصرف، اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، اسم المصدر، اسم الزمان، اسم المكان، اسم الآلة، اسم التفضيل..... مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: 154]. فقد شبه انتهاء الغضب عن موسى بالسكوت، بجامع الهدود في كل منهما، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به، وهو (السكوت) للمشبه، وهو (انتهاء الغضب) ثم اشتق من السكوت بمعنى انتهاء الغضب (سكت) الفعل، بمعنى انتهى³.

قد تتقلب الاستعارة التصريحية التبعية إلى استعارة مكنية، إذا نظرنا إلى المثال من زاوية أخرى فنقول: شبه الغضب بإنسان، بجامع ظهور الانفعال في كلٍّ، وحذف المشبه به وهو الإنسان، واستعير اللفظ الدال عليه للمشبه على سبيل الاستعارة المكنية⁴.

¹ أبو الحسن علي بن محمد التهامي، الديوان، تح محمد بن عبد الرحمان الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982م، ط1، ص309.

بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص112.

المرجع نفسه، ص114.

المرجع نفسه، ص116.

ج. الاستعارة التمثيلية: وتسمى المجاز المركب، وهو تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من مركب، ذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين، أو أمور أخرى¹. مثال ذلك قوله تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 187]

حقيقة الكلام: تركوا الميثاق وأهملوه، ولكن "نبذوه وراء ظهورهم" أبلغ، ففي الآية استعارة وليست من قبيل المفرد بال من قبيل استعارة المركب، فقد شبه هيئة من أخذ عليهم الميثاق، فأهملوه ولم يعتدوا به، بهيئة من بيده شيء تافه حقير فطرحه وراء ظهره، والجامع بينهما: وجود شيء يهمل احتقارا لشأنه، ثم استعير المركب الموضوع للمشبه به للمشبه استعارة تمثيلية، والقرينة حالية، لأن التاركين للميثاق لم يطرحوا شيئاً وراء الظهر حقيقة.²

3.2. الاستعارة باعتبار الملائم:

قد لا تذكر أركان الاستعارة من مستعار منه، ومستعار له، ولفظ مستعار فقط، بل يزداد في التعبير كلاماً يتصل بالمشبه، أو المشبه به، أو بهما معاً. وبناء على هذا، فقد قسم البلاغيون هذه الزيادة إلى ثلاثة أقسام:

أ. استعارة مرشحة: وهي التي ذكر فيها ما يلائم المشبه به، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]

ففي المثال استعارة تصريرية في (اشترؤا) بمعنى اختاروا، والقرينة (الضلالة) وقد ذكر مع هذه الاستعارة شيء يلائم المشبه به، وهو (فما ربحت تجارتهم).

أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 275.¹

عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص 185.²

ب. استعارة مجردة: هي التي ذكر فيها ما يلائم المشبه¹، ومثال ذلك قول كثير عزة:

غَمَرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ♣♣♣ عُلِقَتْ لَضَحِكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ.

استعار الشاعر الرداء للمعروف، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقي عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف لا الرداء.

وسميت الاستعارة هنا مجردة، لأنها جردت عما يقويها، وذكر معها ما يضعفها، لأن ذكر ملائم للمشبه مضعف لتناسي التشبيه، ومبعد لدعوى الاتحاد بين المستعار منه والمستعار له، وبذلك يقترب الأسلوب من الحقيقة. ويلاحظ أن الترشيح والتجريد إنما يكون كل منهما بعد تمام الاستعارة، وتامها باستيفاء قرينتها.

ج. استعارة مطلقة: وهي ما خلت من ملائمتات المشبه والمشبه به، أو هي ما ذكر معها ما يلائم المشبه والمشبه به معاً، وسميت مطلقة، لأنها أطلقت عما يقويها وعما يضعفها من ملائمتات المستعار منه والمستعار له، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 95]

فكلمة "يموج" استعارة للاضطراب والاختلاط الناشئين عن الحيرة، والقرينة: إسناد الفعل إلى الضمير العائد على بعضهم ولم تقترن بما يلائم المشبه أو المشبه به.² ومنه يتبين لنا أنّ أغلب البلاغيون قسّموا الاستعارة إلى ثلاثة أقسام: باعتبار طرفها، باعتبار المستعار وباعتبار الملائم.

3. بلاغة الاستعارة:

إذا كانت الاستعارة في أصلها مرتكزة على أساس من التشبيه، فبلاغة التشبيه أصلاً تقوم على أساسين: الأول تأليف ألفاظه، والثاني ابتكار مشبه به بعيد عن الأذهان، لا يجول إلا في نفس أديب وهب الله له استعداداً سليماً في تعريف وجوه الشبه الدقيقة بين

¹ يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 196.

يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 197.²

الأشياء، وأودعه قدرة على ربط المعاني، وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي.

وسر بلاغة الاستعارة لا يتعدى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أن تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحملك عمداً على تخيل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمنه الكلام من تشبيه خفي مستور. ومن خصائص الاستعارة: أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسر من اللفظ، التشخيص والتجسيد في المعنويات وبث الحركة والحياة في الجماد، المبالغة، تجسيم الأمور المعنوية.

فبلاغة الاستعارة من حيث الابتكار وروعة الخيال وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها، مجال واسع للإبداع، وميدان تسابق المجيدين من فرسان الكلام¹.

ويبدو لنا مما سبق أن الاستعارة هي من أدق أساليب البيان تعبيراً، وأحسنها تصويراً، وأوضحها معنى، تجمع بين المجاز والتشبيه، وبها ينتقل المتكلم من بيئة لغوية معينة إلى بيئة أخرى، ولها عدة أنواع من بينها: المكنية، والتصريحية والتمثيلية، وعناصرها: المستعار منه (المشبه به)، المستعار له (المشبه)، اللفظ المستعار (القرينة المانعة من ارادة المعنى الأصلي)، ولها اهتمام كبير في الساحة الفنية البلاغية، ومن بلاغتها الإيجاز في التعبير، وكأنها تحي الجماد، وتفصح الأعجم، وتبين المعاني الخفية للعبارة الكلامية. وفيما يلي نلخص الاستعارة (أركانها، أقسامها) على شكل مخطط.

¹ .أنظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص89، وأحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 285، بكري

شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص130

مخطط لتوضيح الصورة الاستعارية

فرع من المجاز اللغوي يستعمل فيه اللفظ في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة مانعة المعنى الأصلي.

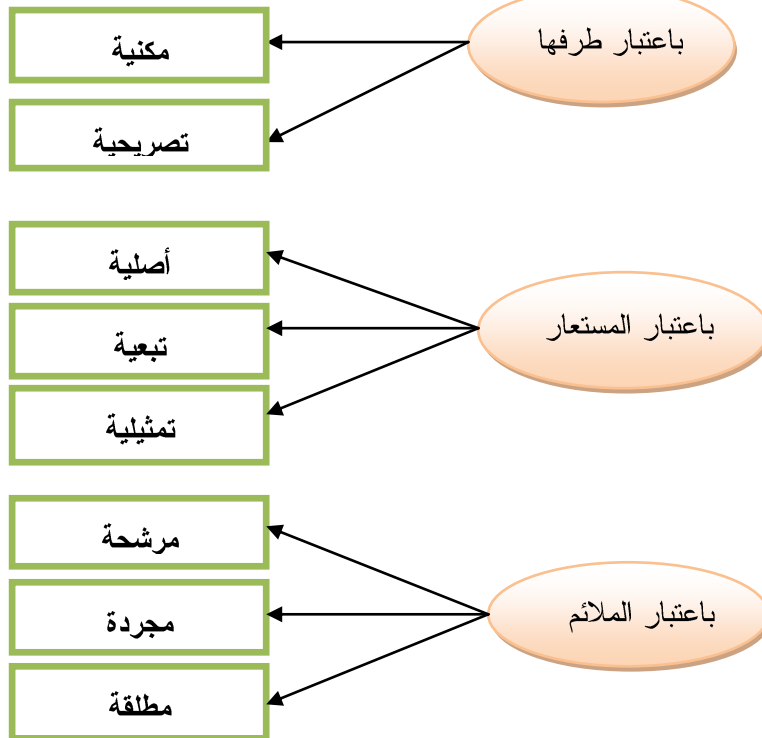
الاستعار

لفظ المستعار

المستعار له

المستعار منه

أركانها



المرجع: إعداد الطالبتين

رابعاً: ظاهرة المجاز:

أبو عبيدة (ت207هـ) هو أول من تكلم بلفظ المجاز، في كتابه "مجاز القرآن"، ولم تكن كلمة المجاز عنده بالمعنى المعروف الآن (وهو ما يقابل الحقيقة) وإنما كان المراد توضيح الكلمة وتفسير معناها. ولو تتبعنا كتابه لوجدناه تفسيراً لغريب القرآن، وكان بعيداً عن التعرض لإبراز الصور البيانية في القرآن، ومع ذلك فقد عدّه بعض الباحثين النواة الأولى للبحوث البيانية.¹

1. تعريف المجاز:

لغة: فقد ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أنه: مصدر على وزن مفعّل بمعنى الجواز والتعدية، من جاز المكان إذا تعداه. وذهب الخطيب إلى أنه: اسم للمكان الذي يجاز فيه، من حيث كونه طريقاً إلى تصور المعنى المراد.²

ب. اصطلاحاً: كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

هذا التعريف البلاغي يؤكد على عدد من الشروط:

لا بد من علاقة تُسوِّغ نقل الكلمة من الحقيقة إلى غير الحقيقة.

لا مانع أن تكون العلاقة قائمة على المشابهة أو على غير المشابهة.

لا بد من قرينة ملفوظة أو ملحوظة تميّز اللفظ الحقيقي من اللفظ المجازي.

مثال قولك: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع.

أدركنا أن (البدر) مجاز، والذي دفعنا إلى هذا الإدراك القرينة (من ثنيات الوداع) وأوحت إلينا أن المقصود من هذا البدر إنسان جميل، حبيب إلى القلوب والعيون، وأن البدر الحقيقي لا يطلع من ثنيات الوداع ولا من جهة أخرى، وإنما يبقى في السماء كوكباً.³

عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ص 129.¹

المرجع نفسه، ص 133.²

بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 67.³

2. أنواع المجاز: المجاز نوعان:

1.2. المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو في معناه (أي المصدر، اسم الفاعل، اسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل....) إلى غير صاحبه لعلاقة، مع قرينة تمنع أن يكون الإسناد حقيقياً. وسمي عقلياً لأن التجوز فهم من العقل لا من اللغة كما في المجاز اللغوي، ويسميه بعضهم بالمجاز الحكمي، أو بالإسناد المجازي¹.

2.2. المجاز اللغوي (اللفظي): هو استعمال كلمة في غير معناها الحقيقي لعلاقة مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة. ويقسم قسمين:

أ. مجاز لغوي: تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي للكلمة قائمة على غير المشابهة، وهذا هو المجاز المرسل وفيه تكون العلاقة بين الكلمة المستعملة في غير معناها الحقيقي ومعناها الحقيقي الأصل قائمة على غير المشابهة. ولا بدّ من وجود قرينة ملفوظة أو ملحوظة تدلّ على عدم إرادة المعنى الحقيقي. وسمي مجازاً مرسلًا لأن العلاقة فيه ليست محصورة في واحدة بعينها، وإنما أطلقت وأرسلت وأصبحت تشمل أكثر من جهة بيانية².

ب. مجاز لغوي تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي للكلمة قائمة على المشابهة، وهذا اللون هو الاستعارة.

3. علاقات المجاز:

1.3. علاقات المجاز العقلي: والعلاقة في المجاز العقلي بين الفعل أو في معناه، وبين الفاعل غير الحقيقي أنواع:

أ. العلاقة السببية: ومثال ذلك: تبني الحكومة المستشفيات. فقد أسند الفعل تبني إلى الحكومة، والحكومة تعبير معنوي يقصد به الحكام..... وهؤلاء لا يقومون بالبناء بأنفسهم. وإنما يقوم به العمال، و السبب في قيام البناء هو أمر الحكومة .

¹. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص170.

بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص83. ².

ب. **العلاقة المكانية:** كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: 6]

فقد أسند الجري إلى الأنهار، وهي أمكنة المياه، وليست هي الجارية بل الجاري ماؤها.

ج. **العلاقة الزمانية:** وهي مضاهاة المسند إليه المجازي للمسند إليه الحقيقي في ملابسة الفعل لأنه زمانه، ومن ذلك قول أبي البقاء الرندي:

هي الأمور كما شاهدتها دول ♣♣♣ من سرّه زمن ساعته أزمان.

أسند الإساءة والسرور إلى الزمان، فالزمان جدد ذاته أمر معني، نشعر به ولكننا لا نستطيع لمسه أو شمه أو ذوقه، فالإسناد ليس حقيقياً¹.

د. **العلاقة المصدرية:** وفيها يسند الفعل إلى مصدره ومن ذلك قول الشاعر يمدح كريما:

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونَهَا ♣♣♣ إِذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بِرُقِيَّةٍ طَالِبِ.

الشاهد في هذا البيت (يجنّ جنونها) أسند الشاعر الفعل يجنّ إلى الجنون وهو مصدر يجنّ، بدلا من إسناده إلى الرجل الذي يكون فيه الجنون.

هـ. **العلاقة الفاعلية:** وفيها يسند ما بني للمفعول إلى الفاعل كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [الإسراء: 45]

الحجاب في أصله ساتر، وليس مستورا، لقد حل اسم المفعول محل اسم الفاعل وهذا الإسناد مجازي علاقته الفاعلية.

و. **العلاقة المفعولية:** وفيها يسند الفعل المبني للفاعل إلى المفعول به، ومثاله قول الحطيئة:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ♣♣♣ وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي².

يريد المطعوم المكسو، فأسند المبني للفاعل إلى ضمير المفعول على طريق المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية (أي أنت ذو طعام وذو كساء)¹.

¹ يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص171.

² الحطيئة، الديوان، شرح ابن السكيت، تح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ط1، ص119.

2.3. علاقات المجاز المرسل:

العلاقات في المجاز المرسل كثيرة، ذكر الخطيب القزويني منها ثمانى علاقات، وذكر السيوطي حوالي عشرين علاقة، وأوصلها ابن السبكي في كتابه عروس الأفراح شرح تلخيص المفتاح إلى ما يقرب أربعين علاقة، لكن نستطيع تلخيص ما ذكر وإجمال ما فصل بالعلاقات التالية²:

أ. **العلاقة السببية:** وهي تسمية الشيء باسم سببه، ومن ذلك قول السموأل:

تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاتِ نفوسنا ♣♣♣ وليست على شيءٍ سِوَاهُ تَسِيلُ³.

نفوسنا يقصد بها دماؤنا، فالنفس سبب لوجود الدم والعلاقة بينهما سببية والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي مذكورة، وهي (على حَدِّ الطُّبَاتِ: طرف حَدِّ السيف). فالنفس الحقيقية لا تسيل على حَدِّ الطُّبَاتِ. فالنفس سبب في جريان الدماء واستمرار الحياة⁴.

العلاقة المسببية: وهي تسمية الشيء باسم نتيجته، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا....﴾ [النساء: 10] فالإنسان لا يأكل النار، ولكنه يأكل الطعام، وإذا كان الطعام حراماً فإنه يتسبب عنه النار، والعذاب في الدنيا من تعذيب الضمير والوجدان، وفي الآخرة من عذاب الله فكلمة (نارا) مجاز مرسل، علاقته المسببية.

ج. **العلاقة الكلية:** تسمية الشيء باسم كَلِّه، بحيث يستعمل اللفظ الدال على الكل ويراد به الجزء⁵. مثال ذلك: شربت ماء النيل.

¹. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 172.

². يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 174.

³. السموأل، الديوان، تح واضح الصمد، دار الجيل، بيروت، 1996م، ط1، مكتبة لسان العرب، ص 72.

⁴. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 86.

⁵. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 175.

نلاحظ أن استعمال ماء النيل لا يؤخذ على حقيقته في الكلام، لأننا لا نستطيع شرب ماء هذا النهر العظيم، وإنما شربت كأساً أو عدة كؤوس من ماء النيل. لقد أطلقت الكل، وأردت الجزء¹.

د.العلاقة الجزئية: وهي تسمية الشيء باسم جزئه، بحيث يستعمل اللفظ الدال على جزء الشيء، ويريد الشيء كله². مثال: ألقى الخطيب كلمة كان لها كبير الأثر. الكلمة يراد بها الكلام، فالمجاز مرسل وعلاقته الجزئية.

ه. العلاقة الماضوية (اعتبار ما كان): هي تسمية الشيء باعتبار أصله، ونسبته إلى الماضي، أي ما كان عليه الشيء في الماضي، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَمْ يَتَّبِعُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَمْ يَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِهِمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: 2] فاليتيم في اللغة من مات أبوه وتركه دون البلوغ، والله تعالى لا يأمر باتيان الأطفال أموالهم، وإنما يأمر بإعطائهم لهم بعد أن يصلوا سن الرشد، لأنهم كانوا يتامى فكلمة اليتامى إذن هنا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، إذ لا يتم بعد البلوغ³.

و.العلاقة المستقبلية (اعتبار ما سيكون): وهي تسمية الشيء باعتبار ما سيؤول إليه، أي ما سيكون عليه الشيء في المستقبل، مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: 101].

وصفه في حال البشارة، بما يؤول إليه من الحلم إذ لا يكون كذلك بمجرد مولده، وإنما تحدث له هذه الصفة بعد ذلك بسنين، فوصف الغلام بالحلم إنما هو اعتبار ما سيكون⁴.

ز.العلاقة المحلّية: أي يذكر المحلّ، ويراد الحالّ فيه، مثال ذلك قول ابن الرومي:

لا أركبُ البحرَ إنِّي ❁❁❁ أخافُ منه المعاطِبُ.

طينٌ أنا وهو ماءٌ ❁❁❁ والطينُ في الماءِ ذائبٌ.

¹ بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 89.

² يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 177.

³ المرجع نفسه، ص 181.

⁴ المرجع نفسه، ص 183.

إن الشاعر يقصد أنه يخاف ركوب السفينة في البحر، لأن عنده عقدة الخوف من ركوب السفن فقد تغرق، وهو لم يتعلم من فن السباحة سوى الغوص، فالعلاقة بين البحر والسفينة متينة هي علاقة المحل والحال، فالبحر محل السفن، والسفن حالة في البحر¹.
ح. العلاقة الحالية: وهذا اللون عكس سابقه، نذكر الحال ونريد المحل، أو نذكر الساكن ونريد المسكن، مثال ذلك قول المتنبي في ذم الكافور:

إني نزلت بكذابين، ضيفهم ♣♣♣ عن القرى وعن الترحال محدود.

فالمجاز في لفظة (كذابين) والمراد بها أنه نزل بأرض، الحاكم فيها من الكذابين، يقول بلسانه شيئاً ويفعل ببيده شيئاً آخر. أي مجاز مرسل علاقته الحالية².

ط. العلاقة الآلية: ويقصد بها كون الشيء واسطة في التأثير، وبذلك يستعمل اللفظ الدال على آلة الشيء مكان الشيء نفسه مثال قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: 4] والمقصود هو لغة قومه، وعلى الرغم من أن بعض النقاد يرى أنه يمكن الاستغناء عن علاقة الآلية بعلاقة السببية إلا أنه لابد من ملاحظة أن الآلة في العلاقة الآلية بها يفعل الشيء، ولا سبيل إلى فعله سواها، فاللسان آلة للغة فبالآلة الشيء يفعل ذلك الشيء وليس كذلك بسبب الشيء، فبالسبب يكون وجود الشيء³.

4. بلاغة المجاز العقلي والمرسل:

إذا تأملت أنواع المجاز المرسل والعقلي لرأيت أنها في الغالب تؤدي المعنى المقصود بإيجاز وهذا ضرب من ضروب البلاغة.

وهناك مظهر آخر للبلاغة في هذين المجازين، هو المهارة في تخير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصوراً للمعنى المقصود خير تصوير، كما في إطلاق العين على الجاسوس في المجاز المرسل، وكما في إسناد الشيء إلى سببه

¹. بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 95.

². بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ص 96.

³. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص 183.

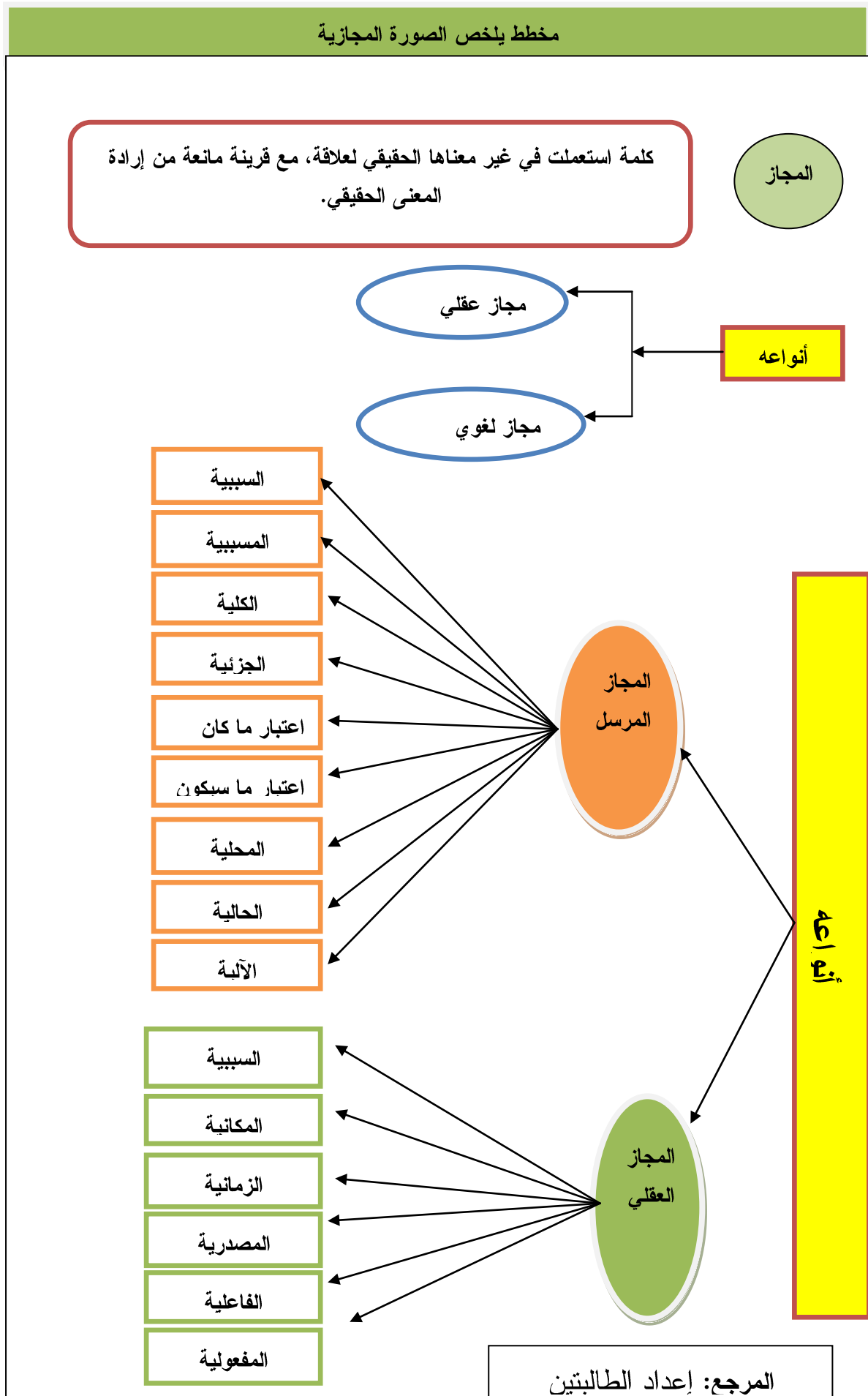
أو مكانه أو زمانه في المجاز العقلي. فإن البلاغة توجب أن يختار السبب القوي، والمكان والزمان المختصان. وإذا دقت النظر رأيت أن أغلب ضروب المجاز المرسل والعقلي لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثر في جعل المجاز رائعا خلايا.

المجاز العقلي أسلوب عربي فصيح، يدل على سعة العربية، وقدرتها على تجاوز حدود الحقيقة إلى الخيال، ذلك لو كان الإسناد قاصرا على الحقيقة وحدها لجفت اللغة، وانعدم فيها رونق الحياة وجمال التعبير.

ونلاحظ أن الأساس النفسي للمجاز المرسل هو تداعي المعاني إذ أن هذا المجاز سيوغه التلازم الذهني، فالسبب والمسبب متلازمان ذهنا وزمانا ومكانا..... إلخ¹.

وخلاصة القول: يعدّ المجاز باب من أبواب التوسع في المعاني، وزيادة في مدلولات الألفاظ، نال عناية الكثير من اللغويين والبلاغيين، فهو نوعان: مجاز عقلي وله عدة علاقات بين المسند والمسند إليه، منها: الفاعلية، المكانية... ومجاز مرسل هو فرع من المجاز اللغوي، غير مقيد بعلاقة المشابهة، كما هو الشأن في الاستعارة، إنما هو متعدد العلاقات، تؤخذ من وصف الكلمة التي تذكر فيها الجملة. والفرق بين المجاز العقلي والمجاز المرسل، هو أن العقلي واقع في الإسناد، أمّا المرسل فإنه واقع في الألفاظ، وتكمن أهمية المجاز في أنه يفضي على الصورة رونقا ويوسع دائرة الإحياء، كما يُعد أسلوبا من أساليب التعبير البياني، حيث تظهر فيه مهارة المتكلم في تخيير العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي. وفيما يلي مخطط يوضح ظاهرة المجاز.

أنظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 256، وعلي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص 102.¹



الخلاصة:

في نهاية هذا الفصل يمكن أن نلخص ما قلناه: إنّ الظواهر الفنية البيانية عديدة أبرزها التشبيه، الكناية، الاستعارة، المجاز، ويعدّ التشبيه أقدم صور البيان وأقربها إلى الفهم، تميل إليه القلوب وتهفو إليه النفوس، لا يختص بجنس ولا تحده لغة يستوي فيه الخاصة والعامة. وهو يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ويقوم على دعامتين أساسيتين هما الطرفان. أما الكناية فهي أسلوب من أساليب البيان، وغاية لا يقوى على الوصول إليها إلّا كل بليغ متمرّس، فإنها تؤدي إليك المعنى الكبير في قليل من اللفظ. وهي تصوير دقائق المعاني ومكونات الصدور مما يعجز عنه التصريح. أما الاستعارة فهي قمة الفن البياني، وجوهر الصورة الرائعة والعنصر الأصيل في الإعجاز، والوسيلة الأولى التي يخلق بها الشعراء وأصحاب الذوق الرفيع إلى سماوات الإبداع، هناك صلة وثيقة بين التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية، فكلاهما صورة مركبة منتزعة من متعدد. أما المجاز فهو من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها طبيعة التركيب لإيضاح المعنى والدلالة على كثرة معاني الألفاظ لما فيها من الدقة في التعبير. والمجاز نوعان: مرسل وعقلي يتميزان بالمهارة في اختيار العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصورا للمعنى المقصود خير تصوير.

خلاصة الفصل الثاني:

في نهاية هذا الفصل يمكن أن نلخص ما قلناه: *يعد التشبيه أقدم صور البيان وأقربها إلى الفهم، تميل إليه القلوب وتهفو إليه النفوس، لا يختص بجنس ولا تحده لغة يستوي فيه الخاصة والعامة. *التشبيه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ويقوم على دعامتين أساسيتين هما الطرفان. *الاستعارة هي قمة الفن البياني، وجوهر الصورة الرائعة والعنصر الأصيل في الإعجاز، والوسيلة الأولى التي يخلق بها الشعراء وأصحاب الذوق الرفيع إلى سماوات الإبداع. * هناك صلة وثيقة بين التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية، فكلاهما صورة مركبة منتزعة من متعدد. * المجاز من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة لإيضاح المعنى والدلالة على كثرة معاني الألفاظ لما فيها من الدقة في التعبير. *المجاز نوعان: مرسل وعقلي يتميزان بالمهارة في اختيار العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، بحيث يكون المجاز مصورا للمعنى المقصود خير تصوير. *الكناية أسلوب من أساليب البيان، وغاية لا يقوى على الوصول إليها إلّا كل بليغ متمرّس، فإنها تؤدي إليك المعنى الكبير في قليل من اللفظ. *الكناية تصوير دقائق المعاني ومكنونات الصدور مما يعجز عنه التصريح.

الفصل الثالث

الظواهر الفنية في التفسير البياني لسورة البقرة



أولاً: في رحاب سورة البقرة.

ثانياً: دراسة الظواهر الفنية في مقاطع سورة البقرة.

خلاصة

إنّ الرسالة التي بعث بها الله تعالى إلى البشرية (القرآن)، هي دستور تشريعي كامل يقيم الحياة الإنسانية على أفضل صورة وأرقى مثال، فقد أعيت بلاغته البلغاء وأعجزت حكمته الحكماء، وأبکمت فصاحته الخطباء، والذي جعله معجزة خالدة هو اشتماله على أساليب الفصاحة والبلاغة والصور البيانية التي زادت روعة وجمالاً، مما صعب على الإتيان بأقصر صورة من مثله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23] وسنتعرف في هذا الفصل على الظواهر الفنية البيانية في سورة البقرة.

أولاً: في رحاب سورة البقرة:

سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم، وهي واحدة من السبع الطوال (آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، الأنفال) جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل، آياتها مائتان وثمانون وخمس آيات.

سميت سورة البقرة بهذا الاسم لأنها انفردت بذكر حادثة قتل وقعت على بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام، وكان للبقرة شأن إلهي عجيب في هذه الحادثة. والغرض من نزول سورة البقرة هو الرد على أحبار اليهود الذين أظهروا العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم، وتكون له سنداً للرد على أسئلتهم التي كانوا يذيقونه بها، بالإضافة إلى بعض الأحكام والمعاملات والعبادات بعد استقرار الإسلام بالمدينة، حيث كان المسلمون في أمس الحاجة إليها.¹

وختمت السورة الكريمة بتوجيه المؤمنين إلى التوبة، والتضرع إلى الله جل وعلا برفع الأغلال، وطلب النصرة على الكفار، والدعاء لما فيه سعادة الدارين: ﴿...رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

¹ جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية-خصائص السور ط 1، المجلد 1، بيروت، دار التقريب بين المذاهب

الإسلامية، 1999 م، ص 43

الْكَافِرِينَ¹ وهكذا بدأت السورة بأوصاف المؤمنين، وختمت بدعاء المؤمنين ليتناسق البدء مع الختام، ويلتئم شمل السورة أفضل التئام².

و تتألف سورة البقرة من مقدمة وأربعة مقاصد وخاتمة على هذا الترتيب:
(المقدمة): في التعريف بشأن هذا القرآن وبيان أن ما فيه من الهداية قد بلغ حدا من الوضوح لا يتردد فيه ذو قلب سليم، وإنما يعرض عنه من لا قلب له، أو من كان في قلبه مرض

(المقصد الأول): في دعوة الناس كافة إلى اعتناق الإسلام.
(المقصد الثاني): في دعوة أهل الكتاب دعوة خاصة إلى ترك باطلهم والدخول في هذا الدين الحق.

(المقصد الثالث): في عرض شرائع هذا الدين تفصيلاً.
(المقصد الرابع): ذكر الوازع والنازع الديني الذي يبعث على ملازمة تلك الشرائع ويعصم عن مخالفتها.

(الخاتمة): في التعريف بالذين استجابوا لهذه الدعوة الشاملة لتلك المقاصد وبيان ما يرجى لهم في آجلهم وعاجلهم³.

ورد في بيان فضلها وثواب قراءتها أحاديث كثيرة منها:
في مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان⁴.

¹ سورة البقرة، الآية 285.

² محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ط2، ص23.

³ محمد عبد الله زراز، النبأ العظيم-نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة قطر، 1985م، ص163.

⁴ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تح محمد ناصر الدين الألباني ومحمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، 2013م، ط3، ج1، ص65.

وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ: اقرءوا القرآن فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلها ثم قال: اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة¹.

ويظهر لنا مما ورد في بيان فضلها أنها تبين طبيعة التصوير الايماني، من خلال تحصين النفس البشرية والبيوت من وساوس الشيطان، كما أنها تأتي شفيعا يوم القيامة لأصحابها كأنها غمامة تظل فوق رؤوسهم أو كأنها فرق من الطير مصطفة متضامة تحميهم، وأن حفظها فيه بركة، وتركها حسرة وندم شديد للذي لم يقرأها ولم يحفظها بعد فوات الأوان، ولا يمكن للسحرة حفظها ولا النفوذ في قارئها.

ثانيا: دراسة الظواهر الفنية في مقاطع سورة البقرة:

إنّ عملنا في هذا الفصل التطبيقي يرتكز على استخراج الظواهر الفنية لسورة البقرة انطلاقا من قراءتنا وتتبعنا للتفسير البيانية ومن أجل تحقيق هذا الهدف، وبغرض تسهيل وترتيب هذا الجهد فإننا نقسم السورة إلى خمسة عشر مقطعا، حيث يشمل كل مقطع مجموعة من الآيات التي تضمنت فعلا تلك الظواهر الفنية، ثم نقوم بتلخيص التفسير البياني لكل مقطع ثم استنباط ظواهره الفنية والتعليق عليها، وهذا على النحو الذي سيأتي:

1. المقطع الأول: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝۲ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝۳ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝۴ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝۵ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝۶ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝۷ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝۸ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝۹ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝۱۰﴾ [البقرة: 1-10]

¹. عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص 67.

1.1. ملخص التفسير البياني: روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، وعن عامر الشعبي وسفيان الثوري أنهم قالوا: الحروف المقطعة هي سر الله في القرآن والله في كل كتاب من كتبه سر، فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، فلا ينبغي أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها. هذا في الآية (1) أما الآية (2) فيخبرنا الله تعالى أن ما أنزله على عبده ورسوله من قرآن يمثل كتابا فخما عظيما لا يحتمل الشك ولا يتطرق اليه احتمال كونه غير وحي الله وكتابه بحال، وذلك لإعجازه، وما يحمله من هدى ونور لأهل الايمان والتقوى يهتدون بها الى سبل السلام والسعادة والكمال.¹

وذكر تعالى في الآيات (3،4،5) صفات المتقين من الايمان بالغيب واقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والايمان بما أنزل الله من كتب والايمان بالدار الآخرة وأخبر عنهم بأنهم لذلك هم على أتم هداية من ربهم، وأنهم هم الفائزون في الدنيا بالطهر والطمأنينة في الآخرة بدخول الجنة بعد النجاة من النار، وبعدها أخبرنا تعالى بعدم استعداد أهل الكفر والضلال للإيمان حتى استوى انذارهم وعدمه وذلك لمضي سنة الله فيهم بالطبع على قلوبهم حتى لا تفقه، وعلى آذانهم حتى لا تسمع، ويجعل الغشاوة على أعينهم حتى لا تبصر، وذلك نتيجة مكابرتهم وعنادهم واصرارهم على الكفر، وبذلك استوجبوا العذاب العظيم فحكم به عليهم، وفي الآيات الأخيرة أخبر الله أن فريقا من الناس وهم المنافقون يدعون الايمان بالسنتهم ويضمرون الكفر في قلوبهم، يخادعون الله والمؤمنين بهذا النفاق، ولما كانت عاقبة خداعهم عائدة عليهم كانوا بذلك خادعين أنفسهم لا غيرهم ولكن لا يعلمون ذلك ولا يدرون به. كما أخبرنا تعالى أن في قلوبهم مرضا وهو الشك والنفاق والخوف، وأنه زادهم مرضا عقوبة لهم في الدنيا وتوعدهم بالعذاب الأليم في الآخرة بسبب كذبهم وكفرهم.²

¹ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، راسم للدعاية والإعلان، جدة، 1990م، المجلد الأول،

ص19.

² المرجع نفسه، ص22، 23، 25.

2.1 الظواهر الفنية:

أ. المجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]. أسند الهداية للقرآن وهو من الإسناد للسبب، والهادي في الحقيقة هو الله رب العالمين ففيه مجاز عقلي.

ب. الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: 7]. شبه تعالى قلوبهم لتأبيها عن الحق، وأسماعهم وأبصارهم لامتناعها عن تلمح نور الهداية، بالوعاء المختوم عليه، المسدود منافذه المغشى بغشاء يمنع أن يصله ما يصلحه، واستعار لفظ الختم والغشاوة لذلك بطريق الاستعارة التصريحية.¹

كما جاء في تلخيص البيان: قوله سبحانه: (وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً) استعارة لأنهم كانوا على الحقيقة ينظرون إلى الأشخاص فيقبلون الأبصار لأنهم لم ينتفعوا بالنظر ولم يعتبروا بالعبر وصف سبحانه أبصارهم بالغشي ويكون تعالى كنى هنا بالأبصار عن البصائر إذ كانوا غير منتفعين بها ولا مهتدين بأدلتها لأن الإنسان يهدي ببصيرته إلى طريق نجاته كما يهدي ببصره إلى مواقع خطواته.²

ج. الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9]. شبه حالهم مع ربهم في إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، بحال رعية تخادع الملك، واستعير اسم المشبه به للمشبه بطريق الاستعارة، أي يعملون عمل المخادع الذي يضحك على نفسه.³

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 26.

². الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 27.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 31.

د. كناية في قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: 10]. المرض في الأجسام حقيقة وقد كنى به عن النفاق، لأن المرض فساد للبدن، والنفاق فساد للقلب.¹

يقول الشريف الرضي: فالمرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة لأنه فساد في القلوب كما أنه فساد في الأجسام وإن اختلفت جهتا الفساد في الموضعين.²

استعمل القرآن الكريم المجاز العقلي، الاستعارة بنوعيتها التصريحية والتمثيلية، والكناية تعبيراً عن موقف الكفار والمنافقين أمام هذا القرآن العظيم الذي لا يماثله كتاب في صدقه وبلاغته. أما بخصوص الاختلاف بين رأيي الصابوني و الشريف الرضي في تحديد الظاهرة الفنية الواردة في الآية (10)، فإننا نميل إلى كونها كناية عن صفة المرض، وهو الشك والنفاق الموجود في قلوب الكافرين. ويحث الله تعالى في المقطع الأول على طلب الهداية من الكتاب الكريم، ومن يكفر بالله وبكتابه فالله حجب الحق عن قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، وجزأؤهم عذاب عظيم، وهناك صنف من الناس منافقين يظهرن الإيمان ويخفون الكفر في قلوبهم والحقيقة أنهم يخادعون أنفسهم جاهلون بسوء ما يفعلون، فزادهم الله مرضاً وأعدّ لهم عذاب أليم لأنهم كذبوا بالصدق.

2. المقطع الثاني: قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيْٓءَاذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

¹. المرجع نفسه، ص32.

². الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص27.

تَتَّقُونَ ﴿١٥﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾ [البقرة: 15-27]

2.1 ملخص التفسير البياني: ما زالت الآيات تخبر عن المنافقين بأنه تعالى يستهزئ بهم معاملة لهم بالمثل جزاء وفاقا ويزيدهم حسب سنته في أن السيئة تلد السيئة في طغيانهم لتزداد حيرتهم واضطراب نفوسهم وضلال عقولهم، كما أن أولئك الذين استبدلوا الإيمان بالكفر والإخلاص بالنفاق فلذلك لا تربح تجارتهم، مثل هؤلاء المنافقين فيما يظهرون من الإيمان مع ما هم مبطنون من الكفر كمثل من أوقد نارا للاستضاءة بها فلما أضاعت لهم ما حولهم وانتفعوا بها أدنى انتفاع ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، كما أن المنافقين قد فقدوا كل استعداد للاهتداء فلا آذانهم تسمع صوت الحق ولا ألسنتهم تنطق به ولا أعينهم تبصر آثاره وذلك لتوغلهم في الفساد فلذا هم لا يرجعون عن الكفر الى الإيمان بحال من الأحوال¹.

هذا ما تضمنته الآيات (15،16،17،18) ، أما الآيتان (19،20) فهما تتضمنان مثلا آخر لهؤلاء المنافقين، وصورة المثل العجيبة والمنطبقة على حالهم هي مطر غزير في ظلمات

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص28

مصحوب برعد قاصف وبرق خاطف وهم في وسطه مذعورون خائفون يسدون آذانهم بأنامل أصابعهم حتى لا يسمعوا صوت الصواعق حذرا أن تتخلع قلوبهم فيموتوا، ولم يجدوا مفرا لأن الله تعالى محيط بهم هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن البرق لشدته وسرعته يكاد يخطف أبصارهم فيعمون، فاذا أضاء لهم البرق الطريق مشوا في ضوئه وإذا انقطع ضوء البرق وقفوا حيارى خائفين، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لأنه تعالى على كل شيء قدير¹. وفي الآيتان (21،22) فقد نادى الله الجميع بعنوان الناس ليكون نداء عاما للبشرية جمعاء في كل مكان وزمان وأمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم من الخسران، معرفا لهم نفسه بصفات الجلال والكمال فيكون ذلك أدعى لاستجابتهم له فيعبودونه عبادة تتجهم من عذابه وتكسبهم رضاه وجنته، وختم نداءه لهم بتبنيهم عن اتخاذ شركاء له يعبدونهم معه مع علمهم أنهم لا يستحقون العبادة لعجزهم عن نفعهم أو ضرهم².

وفي الآيتان (23،24) شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو فقال مخاطبا الكافرين³: إن كنتم في شك من القرآن الذي أنزلناه على عبدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فأتوا بسورة من مثل سورته أو من رجل أمي مثل عبدنا في أميته فإن لم تأتوا لعجزكم فقوا أنفسكم من النار بالإيمان وبالوحي الإلهي وعبادة الله تعالى بما شرع فيه.

وفي الآية (25) أمر الله تعالى رسوله أن يبشر المؤمنين المستقيمين بما رزقهم من جنات تجري من تحتهم الأنهار لهم فيها أزواج مطهرات نقيات من كل أذى وهم فيها خالدون، كما أخبر عنهم بأنهم إذا قدم لهم أنواع الثمار المختلفة قالوا: هذا الذي رزقنا مثله في الدنيا، كما أخبر تعالى أنهم أوتوه متشابها في اللون غير متشابه في الطعم زيادة في حسنه وكماله، وعظيم الالتذاذ به⁴.

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص30،31.

². المرجع نفسه، ص33.

³. محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981 م، ط7، المجلد الأول، ص41.

⁴. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص34،35،36.

أما الآيتان (26، 27) يقول تعالى في الرد على مزاعم اليهود والمنافقين أنه لا يمتنع عن أن يضرب أي مثل كان سواء كان بالبعوضة أو بما هو دونها في الحقارة والصغر، أما المؤمنون فيعلمون أن الله حق، لا يقول غير الحق، وأن هذا المثل من عنده، وأما الذين كفروا فيتعجبون ويقولون: ماذا أراد الله من ضرب الأمثال بمثل هذه الأشياء الحقيرة؟ فرد الله تعالى عليهم أي يضل بهذا المثل كثيرا من الكافرين لكفرهم به، ويهدي به كثيرا من المؤمنين لتصديقهم به فيزيد أولئك ضلالة، وهؤلاء هدى وما يضل بهذا المثل الا الخارجين عن طاعة الله، الجاحدين لآياته.. ثم عدّد تعالى أوصاف هؤلاء الفاسقين الذين ينقضون كل عهد وميثاق من الإيمان بالله، والتصديق بالرسول، والعمل بالشرائع، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من صلة الأرحام.... ويفسدون في الأرض بالمعاصي والفتن، أولئك المذكورون بالأوصاف القبيحة هم الخاسرون لأنهم استبدلوا الضلالة بالهدى.¹

2.2. الظواهر الفنية:

أ. في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 15]. هاتان استعارتان فالأولى منها إطلاق صفة الاستهزاء على الله سبحانه وتعالى والمراد بها أنه تعالى يجازيهم على استهزائهم بإرصاد العقوبة لهم فسمي الجزاء على الاستهزاء باسمه إذ كان واقعا في مقابلته وإنما قلنا إن الوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى لأنه عكس أوصاف الحكيم وضد طرائق الحليم. والثانية يمدّ لهم كأنه يخليهم والامتداد في عمدهم إيجابا للحجة وانتظارا للمراجعة تشبيها بمن أرحى الطول للفرس ليتنفس خناقها ويتسع مجالها.²

ب الاستعارة التصريحية: في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبَحَتِ تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: 16]. المراد استبدلوا الغي بالرشاد والكفر بالإيمان،

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 37، 38.

² الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 27، 28.

فخسرت صفقتهم ولم تربح تجارتهم، فاستعار لفظ الشراء للاستبدال ثم زاده توضيحا بقوله: "فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ". وهذا هو الترشيح الذي يبلغ بالاستعارة الذروة العليا من البيان¹.

ج. التشبيه التمثيلي: في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا...﴾ [البقرة: 17]. شبه المنافق بالمستوقد للنار، وإظهاره الإيمان بالإضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار.

د. التشبيه البليغ: في قوله تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: 18]. أي هم كالصم وكالبكم وكالعمى، في عدم الاستفادة من هذه الحواس، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغا. كقول القائل: هو بدر.

ه. التشبيه التمثيلي: في قوله تعالى: ﴿... أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمٌ...﴾ [البقرة: 19]. شبه الإسلام بالمطر، لأن القلوب تحيى به كحياة الأرض بالماء، وشبه شبّهات الكفار بالظلمات، وما في القرآن من الوعد والوعيد بالرعد والبرق..... الخ.

و. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿... يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 19]. وهو من إطلاق الكل وإرادة الجزء أي رؤوس أصابعهم، لأن دخول الأصبع كلها في الأذن لا يمكن ففيه مجاز بالجزئية².

ز. استعارة تصريحية: قوله سبحانه: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ...﴾ [البقرة: 20]. وهذه استعارة والمراد يكاد البرق بذهب بأبصارهم من قوة إيماضه وشدة التماعه، فجعل تعالى الفعل للبرق دونها لما كان السبب في ذهابها.

ح. استعارة تصريحية: قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً...﴾ [البقرة: 22]. هذه استعارة لأنه تعالى شبه الأرض في الامتداد بالفرش، والسماء في الارتفاع بالبناء³.

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص32.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص32.

³. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص29.

ط. كناية: في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 24]. كناية عن عدم العناية عند ظهور المعجزة وهذا التعبير فيه ما فيه من شدة التنفيذ وقوة التأثير، أي لا تعاند عند ظهور المعجزة تمسك بهذه النار العظيمة.¹ فهي كناية عن صفة، لأنه ذكر الموصوف (نار جهنم).

ي. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ [البقرة: 25]. من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم بمعنى أنه سبحانه عبّر بالحياء عن الترك لأن الترك من ثمرات الحياء ومن استحيا من شيء تركه.²

ك. الاستعارة المكنية: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ...﴾ [البقرة: 27] حيث شبه العهد بالحبيل لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين، والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعاً³، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو النقض على سبيل الاستعارة المكنية.⁴

نجد أن هذا المقطع تضمّن الظواهر الفنية من تشبيه واستعارة لبيان حال المنافقين وضلالهم ومجاز وكناية لبيان جزاء الكافرين والمنافقين، والاستدلال على الحق بكل مَثَلٍ، وموقف الناس منه وبيان الحكمة من ذلك، ومنهج الكفار بالإعراض عن الله. وهذا المقطع يواصل فكرة المقطع الأول فهو يتحدث عن المنافقين وسوء أعمالهم من استهزاء وسخرية بالمؤمنين، ودفعهم للهدى الذي بُعث به محمد ﷺ، وهم في حيرة وشك من هذا الوحي فلا يستطيعون الإتيان بسورة من مثله، وجزاؤهم عذاب دائم في نار جهنم. فلا هم مع الخالق صدقوا، ولا مع الخلق وفوا.

¹ سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم-نظريا وتطبيقيا-، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006م، ص83.

² محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص20.

³ أبو القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، 1977م، ج1، ص268.

⁴ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص38.

3.المقطع الثالث: قوله تعالى: ﴿وَعَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلٍ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [البقرة: 41-49]

3.1.ملخص التفسير البياني: أمر الله تعالى بني اسرائيل أن يؤمنوا بالقرآن الكريم، وأن لا يكونوا أول من يكفر به، ونهاهم عن الاعتياض عن بيان الحق في أمر الايمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا من متاع الحياة الدنيا وأمرهم بتقواه في ذلك وحذرهم ان هم كتموا الحق أن ينزل بهم عذابه، ونهاهم عن خلط الحق بالباطل، وأمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والاذعان لله تعالى بقبول الإسلام والدخول فيه كسائر المسلمين، هذا ما تضمنته الآيات (41،42،43).¹

وفي الآية (44) يخاطب الله أحبار اليهود فيقول لهم على سبيل التوبيخ أئدعون الناس الى الخير، وإلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتنسون أنفسكم أي تتركونها فلا تؤمنون ولا تفعلون الخير ،كونكم تقرأون التوراة، وفيها صفة محمد عليه الصلاة والسلام أفلا تفطنون وتفقهون أن ذلك قبيح؟ فترجعون عنه.²

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص49.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص46.

أما الآيتان (45،46) يرشد الله تعالى بني اسرائيل إلى الاستعانة بالصبر والصلاة حتى يقدروا على مواجهة الحقيقة والتصريح بها وهي الإيمان بمحمد والدخول في دينه، ثم يعلمهم أن هذه المواجهة صعبة وشاقة على النفس لا يقدر عليها إلا الموقنون بقاء الله، والرجوع إليه. وفي الآيتان (47،48) ينادي الله سبحانه بني اسرائيل مطالباً إياهم بذكر نعمه عليهم ليشكروها بالإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقبول ما جاء به من الدين الحق وهو الاسلام، محذراً إياهم من عذاب يوم القيامة، أمراً لهم باتقائه بالإيمان وصالح الأعمال، لأنه يوم عظيم لا تقبل فيه شفاعاة لكافر، ولا يؤخذ منه عدل أي فداء، ولا ينصره بدفع العذاب عنه أحد¹. وقد تضمنت الآية (49) نعمة أنعم الله تعالى بها على بني اسرائيل وهي انجائهم من فرعون وآله بتخليصهم من حكمهم الظالم وما كانوا يصبونه عليهم من ألوان العذاب، من ذلك: ذبح الذكور من أولادهم وترك البنات للخدمة²، وأن فيما ذكر من العذاب المهين، من الذبح والاستحياء محنة واختبار عظيم من جهته تعالى³.

أ. الاستعارة التصريحية: في قوله تعالى: ﴿..... وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾ [البقرة: 41]. أي لا تستبدلوا بآياتي ثمناً وإلا فالثمن هو المشتري به، والشراء هنا على سبيل الاستعارة كما تقدم في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾⁴.
 ب. استعارة: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42]. استعارة والمراد بها ولا تخطوا الحق بالباطل فتشكل معارفه وذلك مأخوذ من الأمر الملتبس وهو المختلط، ويقال: قد ألبس علي هذا الأمر إذا انغلت أبواب علمه واشتدت مطالع فهمه⁵.

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 51، 52.

². المرجع نفسه، ص 54.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 48.

⁴. المرجع نفسه، ص 45.

⁵. الشريف الرضي تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 29.

ج. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43]. هو من باب تسمية الكل باسم الجزء أي صلّوا مع المصلين، أطلق الركوع وأراد به الصلاة.¹

د. الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.....﴾ [البقرة: 49]. أي يلزمونكم به وهو استعارة من السوم في البيع والشراء.²

ومن هنا نستخلص أن النص القرآني قد استعمل ظاهرتي الاستعارة والمجاز تذكيراً بعاقبة عدم شكرهم لنعم الله، وفي الآية (42) استعارة تصريحية، وفي هذه الآيات دعوة ربانية لليهود وهي اتباع النبي محمد ﷺ والدخول في دينه، كما ذكرهم تعالى بالنعمة التي أنعمها عليهم وهي انجائهم من ظلم فرعون وآله، ومع هذا لم يقابلوها بالتوحيد.

4. المقطع الرابع: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَرَأَيْتُمْ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص45.

² المرجع نفسه، ص49.

مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تَأْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ [البقرة: 61-74]

1.4. ملخص التفسير البياني: يذكر الله تعالى بني اسرائيل بسوء الأخلاق التي كانت في سلفهم منها عدم الصبر، وسوء التدبير والجهالة بالخير، وهذا ظاهر في قولهم يا موسى بدل يا نبي الله لن نصبر على طعام واحد، وقولهم ادع لنا ربك بدل ادع الله تعالى لنا، وفي ملهم اللحم والعسل وطلبهم الحبوب والبقول والثوم والعدس والبصل بدلا عنهما، وفي قول موسى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، كما ذكرهم بالعاقبة المرة التي كانت لهم نتيجة كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ظلما وعصيانهم واعتدائهم ، وهي أن ضرب عليهم الذل والهوان وغضب عليهم، هذا ما تضمنته الآية (61)، وفي الآية (62) دعا الله المؤمنون واليهود والنصارى والصابئون وسائر أهل الأديان من آمن منهم بالله واليوم الآخر حق الايمان وعمل صالحا مما شرع الله من عبادات فلا خوف عليهم بعد توبتهم ولا حزن ينتابهم بعد موتهم من أجل ما تركوا من الدنيا، اذ الآخرة خير وأبقى¹.

وفي الآيات (63، 64، 65، 66) يذكر الحق عز وجل اليهود بما كان لأسلافهم من أحداث لعلمهم يعتبرون فيذكرهم بحادثة امتناعهم من تحمل العمل بالتوراة واصرارهم على ذلك حتى

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 63، 65.

رفع الله تعالى فوقهم جبلا فأصبح كالظلة فوق رؤوسهم حينئذ أذعنوا غير أنهم تراجعوا بعد ذلك ولم يفوا بما التزموا به فاستوجبوا الخسران لولا رحمة الله بهم، كما يذكرهم بجريمة كانت لبعض أسلافهم وهي أنه تعالى حرم عليهم الصيد يوم السبت فاحتالت طائفة منهم على الشرع واصطادوا فنكل الله بهم فمسخهم قردة، وجعلهم عظة وعبرة للمعتبرين¹.

وفي الآيات (67،68،69،70،71) يذكر رسولنا لهؤلاء اليهود عيبا آخر من عيوب أسلافهم وهو سوء سلوكهم مع أنبيائهم فيكون توبيخا لهم لعلمهم يرجعون عن غيهم فيؤمنوا بدين الحق، ويذكر لهم قصة الرجل الذي قتله ابن أخيه استعجالا لإرثه ثم ألقاه في حي غير الحي الذي هو منه، ولما اختلفوا في القاتل قالوا نذهب إلى موسى يدعو لنا ربه ليبين لنا من هو القاتل فجاءوه فقال لهم ان الله تعالى يأمركم أن تذبخوا بقرة من أجل أن يضربوا القاتل بجزء منها فينطق مبينا من قتله فلما قال لهم ذلك قالوا أتتخذنا هزوا فوصفوا نبي الله بالسخرية والعب وهذا ذنب قبيح وما زالوا يسألونه عن البقرة ويتشددون حتى شدد الله عليهم الأمر فعثروا على البقرة المطلوبة بعد جهد جهيد وغالى فيها صاحبها فباعها منهم بملء جلداه ذهبا².

وفي الآيات (72،73،74) يقول تعالى لليهود موبخا لهم اذكروا اذ قتل أحد أسلافكم قريبه ليرثه فاختم في شأن القتل كل جماعة تنفي أن يكون القاتل منها، والحال أن الله تعالى مظهر ما تكتُمونه لا محالة احقافا للحق وفضيحة للقاتلين فأمرهم أن تضربوا القاتل ببعض أجزاء البقرة فيحيا ويخبر عن قاتله ففعلتم وأحيا الله القاتل وأخبر بقاتله، فأراكم الله بهذه القصة آية من آيات دلائل قدرته وكان المفروض أن تعقلوا وتعلموا أن الله على كل شيء قدير، لكن بدل هذا قست قلوبكم وأصبحت أشد قسوة من الحجارة لا ترق ولا تلين على عكس الحجارة إذ منها ما تتفجر منه العيون، ومنها ما يلين فيهبط من خشية الله، ثم توعدكم

¹. المرجع نفسه، ص 67.

². أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 69.

الرب تعالى بأنه ليس بغافل عما تعملون من الذنوب والآثام وسيجازيكم عليها إن لم تتوبوا إليه¹.

2.4. الظواهر الفنية:

أ. المجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ... ﴾ [البقرة: 61]. المنبت الحقيقي هو الله سبحانه ففيه مجاز عقلي وعلاقته السببية، لأن الأرض لما كانت سببا للنبات أسند إليها، كما يقال: بنى الملك البلدة. لأنه أمر ببنائها².

ب. كناية: في قوله تعالى: ﴿... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 61]. كناية عن إحاطتهما بهم كما تحيط القبة بمن ضربت عليه³.

يقول الشريف الرضي: هذه استعارة والمراد بها صفة شمول الذلة لهم وإحاطة المسكنة بهم كالغباء المضروب على أهله والرواق المرفوع لمستظله⁴.

كما جاء عند أبو السعود: جعلتا محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو ألصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الأمر أذلاء مساكين إما على الحقيقة وإما أن تضاعف جزيتهم⁵.

¹. المرجع نفسه ، ص71.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص53.

³. المرجع نفسه ، ص53.

⁴. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص29.

⁵. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار

الإحياء للتراث العربي، ج1، ص107.

ج. كناية في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 66]. كناية عن أتى قبلها أو أتى بعدها من الأمم والخلائق، أو عبرة لمن تقدم ومن تأخر¹. وهي كناية عن موصوف.

د. الاستعارة التصريحية: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ.....﴾ [البقرة: 74] وصف القلوب بالصلابة والغلظ يراد منه نبوّها عن الاعتبار، وعدم تأثرها بالمواعظ والنصائح ففيه استعارة تصريحية².

قال أبو السعود: الخطاب لمعاصري الرسول ﷺ، والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر، استعيرت لنبوّ قلوبهم عن التأثر بالعظات، والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور والمراد بيان بلوغهم إلى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة³.

هـ. التشبيه المرسل المجمل: في قوله تعالى: ﴿... فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ...﴾ [البقرة: 74]. في هذه الآية نجد أداة الشبه مذكورة وهي الكاف، ووجه الشبه محذوف وهو الصلابة والقسوة، فهذا يسمى تشبيه مرسل مجمل.

و. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿... وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ.....﴾ [البقرة: 74]. أي ماء الأنهار، والعرب يطلقون اسم المحل كالنهر على الحال فيه كالماء، والقرينة ظاهرة لأن التفجر إنما يكون للماء ويسمى مجازا مرسل⁴.

ز. استعارة في قوله تعالى في وصف الحجاره: ﴿..... وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74]. هذه استعارة والمراد ظهور الخضوع فيها لتدبير الله تعالى بآثار الصنعة وأعلام الصبغة⁵. قال الزمخشري في كتابه الكشاف: الخشية مجاز على

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص55.

². المرجع نفسه، ص58.

³. أبو السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ص114، 115.

⁴. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص58.

⁵. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص30.

انقيادها لأمر الله تعالى وأنها لا تمتنع على ما يريد فيها، وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما أمرت به¹.

وُظفت جميع الظواهر الفنية في هذا المقطع ، وفي الآية (61) اختلف علماء التفسير في كونها استعارة أو كناية، ونحن نرجح إلى أن تكون كناية عن صفة الذل والمهانة. وفي الآية (74) اختلاف بين قول الشريف الرضي والزمخشري، فالأول يرى بأنها استعارة، والثاني يراها مجاز، ونحن نميل إلى أنها استعارة تصريحية والمراد بها قسوة قلوب بني اسرائيل وغلظة طباعهم أكثر من الحجارة. وقد تضمن تذكير الله تعالى لبني اسرائيل بسوء أخلاقهم وتمردهم على الله عز وجل في تطبيق شريعته، وعدم احترامهم للأنبياء وتكذيبهم لهم، كما فيها بيان الصلة بين الحق والخلق، وأن الذين لا يؤمنون بالله تعالى وموathيقه يعرضون أنفسهم لكل عقاب، وقصة بقرة بني اسرائيل كشفت طبائع اليهود وعنادهم.

5.المقطع الخامس: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُم أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ

¹ أبو القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل، ص291.

الْبَيِّنَاتِ وَيَدْنَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَّاسْمِعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴿البقرة: 81-93﴾

5.1 ملخص التفسير البياني: بين الله تعالى كذب اليهود ، وأبطل مزاعمهم أن النار لن تمسهم، وأنهم لا يخلدون فيها، فقال: (بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً) أي بلى تمسكم النار وتخلدون فيها، كما يخلد الكافر الذي عمل الكبائر وأشرك بالله ، وغمرته خطيئته من جميع جوانبه وسدت عليه مسالك النجاة، وأن النار ملازمة لهم ، لا يخرجون منها أبداً، أما المؤمنون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ، فلا تمسهم النار ، بل هم في روضات الجنات يحبرون، ومخلدون في الجنان، لا يخرجون منها أبداً. هذا في الآيتين (81،82)¹.

أما الآيات (83،84،85،86)، فما زال السياق في تذكير اليهود بما كان أسلافهم والمراد هدايتهم لو كانوا يهتدون، فقد ذكرهم في الآية (83) بما أخذ الله تعالى عليهم في التوراة من عهود ومواثيق على أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا في عبادته سواه، وأن يحسنوا للوالدين ولذي القربى واليتامى والمساكين وأن يقولوا للناس الحسن من القول ويقيموا الصلاة ويؤتوا

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص61.

الزكاة، وندد بصنيعهم حيث نقض هذا العهد والميثاق أكثرهم ولم يفوا به وفي الآية (84) ذكرهم بميثاق خاص أخذه عليهم في التوراة أيضا وهو الاسرائيلي لا يقتل الاسرائيلي ولا يخرج من داره بغيا وعدوانا عليه، وإذا وقع في الأسر وجب فكاكه بكل وسيلة ولا يجوز تركه أسيرا، أخذ عليهم بهذا ميثاقا غليظا وأقروا به وشهدوا عليه، وفي الآية (85) وبّخهم على عدم وفائهم بما التزموا به، فندد الله تعالى بصنيعهم هذا الذي هو اهمال واجب وقيام بآخر تبعا لأهوائهم فكانوا كمن يومن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ومن هنا توعدهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، وفي الآية (86) أخبر أنهم بصنيعهم ذلك اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فكان جزاؤهم عذاب الآخرة حيث لا يخفف عنهم ولا ينصرون فيه بدفعه عنهم¹.

ما زال السياق الكريم في ذكر إنعام الله تعالى على بني اسرائيل، وذكر معاييبهم لعل ذكر الإنعام يحملهم على الشكر فيؤمنوا، وذكر المعاييب يحملهم على الإصلاح والتوبة، وفي الآية (87) يذكر تعالى منته بإعطاء موسى التوراة وارسال الرسل بعده بعضهم على أثر بعض، وبإعطاء عيسى البيّنات وتأييده بروح القدس جبريل عليه السلام ومع هذا فإنهم لم يستقيموا بل كانوا يقتلون الأنبياء ويكذبونهم فوبّخهم الله تعالى على ذلك²، وفي الآية (88) أخبر الله عن اليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم وبين ضلالهم في اقتدائهم بالأسلاف، فقالوا قلوبنا مغطاة في أكنة لا تفقه ما تقوله يا محمد، والغرض اقناطه عليه السلام من إيمانهم، فطردهم الله وأبعدهم عن رحمته، بسبب كفرهم وضلالهم فقليل من يومن منهم³.

وفي الآية (89) يذكر تعالى كفرهم بالقرآن ونبيه بعد أن كانوا قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم يقولون للعرب أن نبيا قد أطل زمانه وسوف نؤمن به ونقاتلكم معه وننتصر عليكم فلما جاءهم وعرفوه حق المعرفة كفروا به فلعنة الله عليهم لأنهم كفارون. وفي الآية (90) يقبح الله تعالى سلوكهم حيث باعوا أنفسهم رخيصة، باعوها بالكفر فلم يؤمنوا بالقرآن ونبيه حسدا

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص78، 79.

². أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص81، 82.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص65، 66.

أن يكون في العرب نبي يوحى إليه ورسول يطاع ويتبع، فرجعوا من طول رحلتهم في الضلال بغضب عظيم سببه كفرهم بعبسى، وكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومع الغضب العذاب في الدنيا والآخرة¹.

وفي الآية (91) يخبر الله تعالى أن اليهود إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن يدعون أنهم في غير حاجة إلى إيمان جديد بحجة أنهم مؤمنون من قبل بما أنزل الله في التوراة ويكفرون بالقرآن مع أنه هو الحق مصدقا لما معهم من كلام الله، ثم أمر الله رسوله أن يبطل دعواهم موبخا إياهم لم تقتلون أنبياء الله الذي بعثهم الله لهدايتكم قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ قتل الأنبياء يتنافى مع الإيمان تمام المنافاة². وفي الآية (92) لقد جاءكم موسى عليه السلام بالحجج الباهرات ثم عبدتم العجل من بعد ذهابه إلى الطور، وأنتم ظالمون لأنفسكم في هذا الصنيع القبيح³. وفي الآية (93) يذكر تعالى اليهود بما أخذ على أسلافهم من عهد وميثاق بالعمل بما جاء في التوراة عندما رفع الطور فوق رؤوسهم تهديدا لهم غير أنهم لم يفوا بما عاهدوا عليه كأنهم قالوا سمعنا وعصينا، فعبدوا العجل وأشربوا حبه في قلوبهم بسبب كفرهم ثم أمر رسوله أن يقبح ما ادّعوه من أن إيمانهم هو الذي أمرهم بقتل الأنبياء وعبادة العجل، والتمرد والعصيان⁴.

2.5. الظواهر الفنية:

أ. الاستعارة المكنية الأصلية: في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 81]. فيه استعارة حيث شبه الذنوب والخطايا بجيش من الأعداء، نزل على قوم من كل جانب، فأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم، واستعار لفظة الإحاطة لغلبة السيئات على الحسنات فكأنها أحاطت بها من جميع الجهات⁵.

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص82.

². المرجع نفسه، ص84.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص66.

⁴. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص84.

⁵. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص61.

يقول الشريف الرضي: هذه استعارة وفيها كناية عجيبة عن عظم الخطيئة لأن الشيء لا يحيط بالشيء من جميع الجهات إلا بعد أن يكون سابغا غير قالص وزائدا غير ناقص والمراد إحاطة الخطيئة بحسناته وذلك أن تكون أعظم منها فيكون لها تأثير في إحاطتها فالخطيئة عرض لا يكون محيطا بالجسم على الحقيقة¹.

ب. المجاز: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ...﴾ [البقرة: 85]. من باب المجاز لأدنى ملابسة حيث عبر عن قتل الغير بقتل النفس لأن من أراق دم غيره فكأنما أراق دم نفسه².

ج. استعارة: قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 88]. هذه استعارة على التأويلين، إما أن يكون غلف جمع أغلف فالمعنى أن المشركين قالوا قلوبنا في أغطية عما تقوله يريدون النبي صلى الله عليه وسلم، أو يكون غلف على جمع غلاف فمعنى ذلك أنهم قالوا قلوبنا أوعية فارغة لا شيء فيها فلا تكثر علينا من قولك فإننا لا نعي منه شيئا³.

د. الاستعارة المكنية: في قوله تعالى: ﴿...وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ...﴾ [البقرة: 93] شبه حب عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ الشراب، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الاشراب على طريق الاستعارة المكنية⁴.

ويقول الشريف الرضي: هذه استعارة والمراد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبه، فمازجها مازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ وحذف حب العجل لدلالة الكلام عليه لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرب العجل على الحقيقة⁵.

¹. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص30.

². محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص29.

³. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص30.

⁴. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص68.

⁵. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص31.

هـ. استعارة: قوله تعالى: ﴿... قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 93]. هنا استعارة لأن الإيمان على الحقيقة لا يصح عليه النطق والأمر إنما يكون بالقول، فالمراد إذا بذلك والله أعلم أن الإيمان إنما يكون دلالة على ضد الكفر والضلال وترغيباً في إتباعه الهدى والرشاد وأنه لا يكون ترغيباً في سفاهة، فأقام تعالى ذكر الأمر ههنا مقام ذكر الترغيب والدلالة على طريق المجاز والاستعارة إذ كان المرغّب في الشيء والمدلول عليه قد يفعله كما يفعله المأمور به¹.

استعملت هذه الآيات ظاهرتي الاستعارة والمجاز، وفي الآية (85) مجاز مرسل علاقته سببية، والآية (88) استعارة مكنية، حيث شبه الكافرون قلوبهم بأوعية فارغة لا تفقه شيئاً مما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر المشبه (القلوب)، وحذف المشبه به (الوعاء الفارغ)، وترك شيئاً من لوازمه (غلاف)، على سبيل الاستعارة المكنية. وفي نهاية الآية (93) استعارة تصريحية. ويذكر الله تعالى فيها اليهود باتباع شرعه ومقاصد كتبه لأنها متماثلة في التوحيد والدعوة إلى الخير، لكن اليهود قوم لا يستطيعون الثبات على الحق لاتباعهم أهواءهم، ويخالفون الله تعالى بالعناد ولا يؤمنون إلا بالمحسوس.

6. المقطع السادس: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا

¹. المرجع نفسه، ص 31.

وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِدِلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١١٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٠﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٥﴾ ﴿البقرة:

[115-101]

1.6. ملخص التفسير البياني: ينعي الباري عز وجل على علماء اليهود نبذهم للتوراة وهو أنهم لما جاءهم محمد ﷺ خاتم النبيين ومصدقاً للتوراة، وموافقاً لها في أصول الدين، ومقرراً لنبوته موسى عليه السلام، طرح أحبارهم وعلمائهم التوراة، وأعرضوا عنها كلية، لأنها تدل على نبوة محمد ﷺ فجدوا الوحي وأصروا على انكار نبوته، كأنهم لا يعلمون من دلائل نبوته شيئاً، واتبعوا طرق السحر والشعوذة، التي كانت تحدثهم بها الشياطين في عهد ملك سليمان، وما كان سليمان ساحراً، ولا كفر بتعلمه السحر ولكن

الشياطين هم الذين علّموا الناس السحر، حتى فشا أمره بين الناس، وكما اتبع رؤساء اليهود السحر، كذلك اتبعوا ما أنزل على الملكين وهما هاروت وماروت بمملكة بابل بأرض الكوفة، وقد أنزلهما الله ابتلاء وامتحاناً للناس، وإن الملكين لا يعلمان أحداً من الناس السحر حتى يقولوا له: إن هذا الذي نصفه لك، إنما هو امتحان من الله وابتلاء، فلا تستعمله للإضرار ولا تكفر بسببه، فمن تعلمه ليدفع ضرره عن الناس فقد نجا، ومن تعلمه ليلحق ضرره بالناس، فقد هلك وضل، فيتعلمون منهما من علم السحر، ما يكون سبباً في التفريق بين الزوجين، فبعد أن كانت المودة والمحبة بينهما يصبح الشقاق والفراق، وما هم بما استعملوه من السحر يضرّون أحداً إلا إذا شاء الله، فيضرّون أنفسهم من حيث لا يشعرون، ولقد علم اليهود الذين نبذوا كتاب الله، واستبدلوا به السحر، أنهم ليس لهم من حظ رحمة الله، ولا من الجنة، لأنهم آثروا السحر على كتاب الله، ولبئس هذا الشيء الذي باعوا به أنفسهم، لو كان لهم علم أو فهم، ولو أنهم آمنوا بالله وخافوا عذابه لأثابهم الله ثواباً أفضل، مما شغلوا به أنفسهم من السحر، الذي لا يعود عليهم إلا بالويل، والخسار، والدمار.¹ هذا ماتضمنته الآيات (101، 102، 103).

أما الآيتان (104، 105) فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يراعوا الأدب في مخاطبة نبيهم صلى الله عليه وسلم تجنباً للكلمات المشبوهة ككلمة راعنا، إذ قد تكون من الرعونة، وأرشدتهم إلى استعمال كلمة انظرونا، وأمرهم أن يسمعوا لنبيهم إذا خاطبهم حتى لا يضطروا إلى مراجعته لعلو شأنه وعظيم منزلته، وأخبر الله عباده المؤمنين بأن الكافرين من أهل الكتاب ومن غيرهم من المشركين الوثنيين لا يحبون أن ينزل عليكم من خير من ربكم وسواء كان قرآناً، أو كان غير ذلك من سائر أنواع الخيرات، وذلك حسداً لكم كما أخبرهم أنه تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده فحسد الكافرين لكم لا يمنع فضل الله عليكم.²

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 70، 71.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 94.

وفي الآيات (106، 107، 108، 109، 110) قال تعالى رداً على اليهود حين طعنوا في القرآن بسبب النسخ: ما نبذل حكم آية فنغيّره بآخر، أو ننسها يا محمد نأت بخير منها لكم أيها المؤمنون، بما هو أنفع لكم في العاجل أو الآجل، أما برفع المشقة عنكم، أو بزيادة الأجر والثواب لكم، ألم تعلم أيها المخاطب، أن الله عليم حكيم قدير، لا يصدر منه إلا كل خير واحسان للعباد، وألم تعلم أن الله هو المالك المتصرف في شؤون الخلق، يحكم بما شاء ويأمر بما شاء، ومالككم وليّ يرعى شؤونكم، أو ناصر ينصركم غير الله تعالى، فهو نعم الناصر والمعين، أم تريدون يا معشر المؤمنين، أن تسألوا نبيكم كما سأل قوم موسى نبيهم من قبل، ويكون مثلكم كمثّل اليهود الذين قالوا لنبيهم: "أرنا الله جهرة" فتضلّوا كما ضلّوا، ومن يأخذ الكفر بدل الإيمان فقد خرج عن الصراط السوي، فيتمنى كثير من اليهود والنصارى لو يصيرونكم كفاراً بعد أن آمنتم حسداً منهم لكم، وقد تبين لهم أن دينكم هو الحق، فاتركوهم وأعرضوا عنهم فلا تؤاخذوهم حتى يأذن الله لكم بقتالهم فينتقم منهم إذا حان الأوان فالله قادر على كل شيء، وحافظوا على عمودي الإسلام وهما: الصلاة والزكاة وتقرّبوا إليه بالعبادة البدنية والمالية، وأي شيء تتقربون به إلى الله، من صلاة أو صدقة أو عمل صالح، فرضاً كان أو تطوعاً ترون ثوابه عند الله فهو رقيب عليكم مطلع على أعمالكم، فيجازيكم عليها¹.

وفي الآيتين (111، 112) لما جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة التقى باليهود في مجلس النبي ﷺ ولعدائهم السابق تماروا فادعت اليهود أن الجنة لا يدخلها إلّا من كان يهودياً، وادعت النصارى أن الجنة لا يدخلها إلّا من كان نصرانياً فرد الله تعالى عليهم وأبطل دعواهم حيث طالبهم بالبرهان عليها فلم يقدروا وأثبت تعالى دخول الجنة لمن زكى نفسه بالإيمان الصحيح والعمل الصالح فأحسن وإن أجره عند ربه فلا هو يخاف ولا يحزن².

وفي الآيات (113، 114، 115) فقد كفر اليهود بعيسى وقالوا: ليس النصارى على دين صحيح معتدّ به فدينهم باطل، وقال النصارى في اليهود مثل ذلك، ليس اليهود على دين

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 73.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 100.

صحيح، ودينهم باطل والحال أن اليهود يقرأون التوراة، والنصارى يقرأون الانجيل فقد كفروا عن علم، وكذلك قال مشركو العرب مثل قول أهل الكتاب قالوا: ليس محمد على شيء والله يحكم بين اليهود والنصارى وسائر الخلائق، ويفصل بينهم بقضائه العادل، فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، فأنكر تعالى أن يكون أحد أظلم ممن منع الناس من عبادة الله في بيوت الله، وعمل لخرابها بالهدم كما فعل الرومان ببيت المقدس، أو بتعطيلها من العبادة كما فعل كفار قريش وما كان ينبغي لأولئك أن يدخلوها إلا وهم في خشية وخضوع، فضلا عن التجرؤ على تخريبها وتعطيلها ولأولئك المذكورين هوان وذلة في الدنيا ولهم عذاب شديد، هو عذاب النار والله جل وعلا الكون كله، وله الجهات كلها، مكان شروق الشمس وغروبها والمراد جميع الأرض وأي جهة توجهتم بأمره فهناك قبلته التي رضيها لكم يسع الخلق بالجلود والافضال، وهو سبحانه عليم بتدبير شؤونهم، لا تخفى عليه خافية من أحوالهم¹.

2.6. الظواهر الفنية:

أ. كناية: في قوله تعالى: ﴿...كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 101]. مثل يضرب للإعراض عن الشيء جملة، تقول العرب: جعل هذا الأمر وراء ظهره، أي تولى عنه معرضا، لأن ما يجعل وراء الظهر لا ينظر إليه، فهو كناية عن الإعراض عن التوراة كلية². فهي كناية عن موصوف.

ب. استعارة: قال تعالى: ﴿...وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 102]. هذه استعارة لأن بيع نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى لهم، والمراد به والله أعلم أنهم لما أبقوا نفوسهم على تعلم السحر واستحقوا العقاب على ما في ذلك من عظيم الوزر، كانوا كأنهم رضوا بالسحر ثمنا لنفوسهم إذ عرضوها بتعلمهم للهلاك وأبقوها لدائم العقاب كالأعلاق الخارجة عن أيديهم بأنقص الأثمان وأدون الأعراض³.

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص75.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص71.

³. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص32.

ج. الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 112]. خص الوجه بالذكر، لأنه أشرف الأعضاء، فالوجه هنا استعارة عن القصد والتوجه والإقبال على الله¹.

د. استعارة: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115]. هنا استعارة، أي جهة التقرب إلى الله والطريق الدالة عليه، ونواحي مقاصده ومعتداته الهادية إليه².

وظف المقطع السادس استعارتين مكنيتين في الآيتين (102، 115)، وكناية عن موصوف في الآية (101)، وذلك من أجل بيان لعدم موافقة اليهود بما جاء به محمد ﷺ، ومن طبائعهم تحريف الكلم عن موضعه، وحب الشر للآخرين، والطعن في نسخ القرآن، فأنه المتصرف بما يريد يتصرف بملكه ما يشاء، فرد تعالى على اليهود أن الاعتراض عن شرعه، وادعاء الافتراءات والظلم يعود أذاه على صاحبه بزيادة الكفر والعذاب في الآخرة، أما المسلمون فجزاؤهم الجنة، لاستقامتهم على دين الله تعالى وحب عبادته، والإيمان برسوله محمد ﷺ عليه وسلم.

7. المقطع السابع: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسَهُ وَلَقَدْ صُطِّفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [١٣٠] إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١٣١] وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ [١٣٢] أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [١٣٣] تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٣٤] وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ [١٣٥] قُولُوا عَمَتًا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 75.

² الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 32.

وَمَا أَوْتِيَ الَّذِينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٨﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٩﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٤٠﴾ [البقرة: 130-138]

1.7. ملخص التفسير البياني: في الآية (130) أكد تعالى أنه لا أحد يرغب عن ملة ابراهيم الحنيفية الواضحة إلا عبد جهل قدر نفسه، ولم يعرف لها حقها في الطهارة والصفاء وضمن هذا الخبر ذكر تعالى انعامه على ابراهيم وما تفضل به عليه من الاصطفاء في الدنيا والاسعاد في الآخرة في جملة الصالحين، أما الآيتان (131، 132) يذكر تعالى أن ذاك إلا اصطفاء تم لإبراهيم عند استجابته لأمر ربه بالإسلام حيث أسلم ولم يتردد، واقامة الحجة على المشركين وأهل الكتاب معا اذ ملة الاسلام القائمة على التوحيد وصى بها ابراهيم بنبيه وقال لهم: لا تموتن إلا على الإسلام فأين الوثنية والنصرانية واليهودية من ملة ابراهيم. وفي الآية (133) يوبخ تعالى اليهود القائلين كذبا وزورا بقوله: أكنتم حاضرين لما حضر يعقوب الموت فقال لبنيه مستفهما اياهم: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوه بلسان واحد: ﴿نَعْبُدُ إِلَهًا وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. فإن قالوا كنا حاضرين فقد كذبوا وإن قالوا لم نحضر بطلت دعواهم، وثبت أنه وصّاهم بالإسلام لا اليهودية¹.

وفي الآية (134) تحقيق البراءة من الشرك بالإشارة إلى تلك الذرية الطيبة ابراهيم عليه السلام وبنيه قد سلفت ومضت لها ثواب ما كسبت ولكم ثواب ما كسبتم ولا تسألون يوم القيامة عما كانوا يعملون في الدنيا، بل كل نفس تتحمل وحدها تبعة ما اكتسبت من سوء².

وفي الآيات (135، 136، 137، 138) ما زال السياق في حجاج أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام فقد قال اليهود للرسول ﷺ وأصحابه، كونوا يهودا تهتدوا الى الحق، وقالت النصارى كذلك كونوا نصارى تهتدوا فحكى الله تعالى قولهم، وعلم رسوله أن يقول لهم لا نتبع هودية أو نصرانية بل نتبع دين ابراهيم الحنيف المفضي بصاحبه الى السعادة والكمال.

¹ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 117، 118.

² محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 82.

وأمر الله تعالى رسوله والمؤمنين أن يعلنوا في وضوح عن عقيدتهم الحقّة وهي الإيمان بالله وما أنزل من القرآن، وما أنزل على الأنبياء كافة، وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل خاصة، مع عدم التفرقة بين رسول ورسول والإسلام الظاهر والباطن لله رب العالمين، ويقول تعالى لرسوله والمؤمنين ان آمن اليهود والنصارى ايماننا صحيحا كإيمانكم فقد اهتدوا، وان أبوا فتولوا وأعرضوا فأمرهم لا يعدو شقاقا وحربا لله ورسوله، والله تعالى سيكفيهم بما يشاء وهو السميع بأقوالهم الباطلة العليم بأعمالهم الفاسدة، ويقول تعالى لرسوله والمؤمنين ردا على اليهود والنصارى قولوا لهم: نتبع صبغة الله التي صبغنا بها وفطرته التي فطرنا عليها وهي الاسلام، ونحن له تعالى عابدون¹.

2.7. الظواهر الفنية:

أ. استعارة: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: 130]. والتقدير سفه نفسا على أحد التأويلات وهذه استعارة لأنه تعالى علق السفه بالنفس وقولنا نفس فلان سفيهة وإنما السفه صفة لصاحب النفس لا للنفس².

ب. استعارة: قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ....﴾ [البقرة: 133]. أي ظهرت له علامات ووردت عليه مقدمات وهي استعارة لأن الموت لا يصح عليه الحضور على الحقيقة³.

يقول أبو حيان: كنى بالموت عن مقدماته، لأنه إذا حضر الموت نفسه لا يقول المحتضر شيئا، ومنه في قوله: ﴿...حَضَرَ...﴾ كناية غريبة، وهو أنه غائب لا بد أن يقدم، ولذلك يقال في الدعاء واجعل الموت خير غائب ننتظره⁴.

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص120، 121.

². الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص32.

³. المرجع نفسه، ص32.

⁴. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج2، ص573.

ج. الاستعارة المكنية الأصلية: في قوله تعالى: ﴿صَيَّغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَيَّغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: 138]. سمي الدين صبغة بطريق الاستعارة حيث تظهر سمته على المؤمن كما يظهر أثر الصبغ على الثوب¹.

يلاحظ في الآيات التي سبق ذكرها استعمال ظاهرة الاستعارة، وفي الآية (130) استعارة مكنية، وفي الآية (133) اختلاف بين الشريف الرضي وأبو حيان في كونها استعارة أم كناية، ونحن نميل إلى أنها استعارة تصريحية.

وقد استعملت للتأكيد على اتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وهي الإسلام، وبطلان دعوى اليهود والنصارى باتباع ملتهم، وبيان أن الإسلام هو الدين الحق، والأنبياء من أسرة واحدة تجمعهم لا إله إلا الله، ومن يخالف مسيرة الأنبياء ويبتعد عنها، ينتهي إلى غضب الله تعالى وتوبيخهم عنها.

8. المقطع الثامن: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ١١٣ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ١١٤ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ١١٥ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١١٦﴾ [البقرة: 143-146]

1.8. ملخص التفسير البياني: كما هديناكم إلى الإسلام، كذلك جعلناكم يا معشر المؤمنين أمة عدولا خيارا، لتشهدوا على الأمم يوم القيامة أن رسلهم بلّغتهم، ويشهد عليكم الرسول

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 84.

أنه بلغكم، وما أمرناك بالتوجه الى بيت المقدس، ثم صرفناك عنها الى الكعبة المشرفة إلّا لنختبر إيمان الناس، فنعلم من يصدق الرسول، ممن يشكّك في الدين، ويرجع الى الكفر لضعف يقينه وإن كان هذا التحويل لشاقا وصعبا إلّا على الذين هداهم الله وما استقام في شرع الله، أن يضيع الله صلاتكم الى بيت المقدس، بل يثيبكم عليها، وأنه تعالى عظيم الرحمة بعباده، لا يضيع أعمالهم الصالحة التي فعلوها وكثيرا ما رأينا تردّد بصرك يا محمد جهة السماء، تشوقا لتحويل القبلة فتوجّه في صلاتك نحو الكعبة المعظمة وحيثما كنتم أيها المؤمنون، فتوجهوا في صلاتكم نحو الكعبة أيضا، إنّ اليهود والنصارى، ليعلمون أن هذا التحويل للقبلة حق من عند الله، ولكنهم يفتنون الناس بإلقاء الشبهات ولا يخفى عليه شيء من أعمالهم وسيجازيهم عليها، وفيه وعيد وتهديد لهم بليغ¹. هذا في الآيتين (143، 144). أمّا عن الآيتين (145، 146) فيخبر الله تعالى بحقيقة ثابتة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لو أتى اليهود والنصارى بكل آية تدل على صدقه ما كانوا ليتابعوه على ذلك ويصلوا إلى قبلته كما أن النصارى لم يكونوا يصلوا إلى بيت المقدس قبله اليهود، ولا اليهود يصلوا إلى مطلع الشمس قبله النصارى، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يكونوا أبدا ليتابعوا أهل الكتاب على قبلتهم بعد أن هداهم الله إلى أفضل قبله وأحبها إليهم، ويحذر الله رسوله أن يتبع أهواء اليهود فيوافقهم على بدعهم وضلالاتهم بعد الذي أعطاه من العلم وهداه إليه من الحق، وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يفعل ولو فعل لكان من الظالمين، ويخبر تعالى أن علماء أهل الكتاب يعرفون أن الرسول حق وأن ما جاء به هو الحق معرفة تامة كمعرفتهم لأبنائهم، ولكن فريقا كبيرا منهم يكتمون الحق وهم يعلمونه².

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 86.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 128، 129.

2.8. الظواهر الفنية:

أ. الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿... مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ...﴾ [البقرة: 143]. حيث مثل لمن يرتد عن دينه، بمن ينقلب على عقبيه، كأنه يرجع إلى الخلف، وينتسب في دينه كما انتكس في مشيه¹.

ب. استعارة: قوله تعالى: ﴿... فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ [البقرة: 144]. هذه استعارة على قول من قال: أن الشطر ههنا البعد، أي ولَّ وجهك جهة بعده إذ لا يصح أن يولي وجهه بعد المسجد على الحقيقة².

يقول محمد علي الصابوني: في قوله تعالى: ﴿... فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ [البقرة: 144] أطلق الوجه وأراد به الذات كقوله: (وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ). وهذا النوع يسمى مجاز مرسل من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، ومثله قولهم: هذا ما جنته يدك، أي ما فعلته بنفسك³.

ج. التشبيه المرسل المفصل: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ...﴾ [البقرة: 146]. أي يعرفون محمدا معرفة واضحة كمعرفة أبنائهم الذين من أصلابهم⁴.

ومنه نستطيع القول أن هذا المقطع قد استعمل الظواهر الفنية لزيادة المعنى وضوحا لدى المتلقي، وفي الآية (144) هناك اختلاف بين رأي الصابوني والشريف الرضي، ونحن نرجح قول الصابوني بأنه مجاز مرسل علاقته الجزئية. ويخبرنا الله تعالى في هذه الآيات أن الأمة المسلمة هي أولى الأمم في معرفة الحق، وطبيعة هذه الأمة هي الوسطية والاعتدال، وإن البيت الحرام مذكور بالعظمة في الكتب السابقة، كما أخبرنا بكتمان أهل الكتاب للحق ومخالفتهم للرسول عليه وسلم مع علمهم بذلك.

9. المقطع التاسع: قول تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 125].

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 86.

² الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 33.

³ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 86.

⁴ المرجع نفسه، ص 89.

أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
 اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْنَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ
 فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ
 الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَىٰ فِي الْبَحْرِ بِمَا
 يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
 وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ
 مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ أُتْبِعُوا مِنْ
 الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ
 مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
 يَنَآيَهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ
 مُّبِينٌ ﴿البقرة: 158-168﴾

1.9. ملخص التفسير البياني: يقرر تعالى فرضية السعي بين الصفا والمروة دافعا ما توهمه بعض المؤمنين في وجود إثم في السعي بينهما لأن المشركين كانوا يسعون بينهما لأجل الصنمين اساف ونائلة، فقال تعالى: إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله إذ تعبد بالسعي بينهما نبيه ابراهيم وولده اسماعيل والمسلمون من ذريتهما، فمن حج البيت أو اعتمر فليسع بينهما أداء لركني الحج والعمرة، ثم أخبر الله عباده المؤمنين أنّ من تطوع منهم بفعل خير من الخيرات يجزه به ويثبه عليه، لأنه تعالى يشكر لعباده المؤمنين أعمالهم الصالحة ويشبههم عليها لعلمه بها ونيات أصحابها¹. هذا ما تضمنته الآية (158).

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص136.

أما الآيات (159، 160، 161، 162) عاد السياق إلى التنديد بجرائم علماء أهل الكتاب، ودعوتهم إلى التوبة بإظهار الحق والإيمان به فأخبر تعالى أن الذين يكتُمون ما أنزله من البينات والهدى في التوراة والانجيل من صفات الرسول محمد ﷺ والأمر بالإيمان به وبما جاء به من الدين، هؤلاء البعداء يلعنهم الله تعالى وتلعنهم الملائكة والمؤمنون، واستثنى تعالى من المبعدين من رحمته من تاب من أولئك الكاتمين للحق بعدما عرفوه فأصلحوا يتوب عليهم ويرحمهم وهو التواب الرحيم، وأخبر الله أن الذين كفروا من أهل الكتاب وغيرهم بنبيه ودينه ولم يتوبوا فماتوا على كفرهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولذا فهم مطردون من الرحمة الالهية خالدون في جهنم لا يخفف عنهم عذابها، ولا يمهلون فيعتذرون¹. وفي الآيتين (163، 164) أخبر تعالى أنه الإله الواحد الرحمان الرحيم وأن هذا أول ما على العلماء أن يبينوه للناس وهو توحيده تعالى في ربوبيته وعبادته وأسمائه وصفاته، ولما سمع المشركين تقرير هذه الحقيقة قالوا، هل من دليل يريدون على أنه لا إله إلا هو - فأنزل تعالى ست آيات كونية كل آية برهان ساطع ودليل قاطع على وجود الله وقدرته وعلمه وحكمته ورحمته وهي خلق السماوات والأرض وهو خلق عظيم، واختلاف الليل والنهار بتعاقبهما، وجريان الفلك في البحر على ضخامتها وكبرها، انزاله تعالى المطر من السماء لحياة الأرض، تصريف الرياح حارة وباردة شرقية وغربية وشمالية وجنوبية، السحاب المسخر بين السماء والأرض تكوينه وسوقه من بلد إلى آخر ليمطر هنا ولا يمطر هناك حسب إرادة العزيز الحكيم، وهي موجبة لعبادته وحده دون من سواه².

وفي الآيات (165، 166، 167) أخبر تعالى عن سوء عاقبة المشركين الذين عبدوا غير الله فقال: ومن الناس من تبلغ بهم الجهالة، أن يتخذ من غير الله رؤساء وأصناما، يجعلها أشباها ونظراء مع الله، كأنها تخلق وترزق، وهي حجارة صماء بكماء يعظمونهم ويخضعون لهم كحب المؤمنين لله وحب المؤمنين لله أشد من حب المشركين للأنداد ولو رأى الظالمون حين

¹. المرجع نفسه ، ص138.

². أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ص140، 141.

يشاهدون العذاب، المعد لهم يوم القيامة ، أن القدرة كلّها لله وحده وأن عذاب الله شديد أليم، وجواب لو محذوف للتهويل أي لرأوا ما لا يوصف من الهول والفضاعة، ويتبرأ الرؤساء من الأتباع حين عاينوا العذاب وتقطعت بهم الروابط وزالت المودّات وتمنى الأتباع لو أن لهم رجعة الى الدنيا، ليتبرعوا من هؤلاء الذين أضلوهم السبيل كما تبرأ الرؤساء من الأتباع في ذلك اليوم العصيب، وأنه تعالى كما أراهم شدة عذابه كذلك يريهم أعمالهم القبيحة ندامات شديدة وحسرات تتردد في صدورهم كأنها شرر الجحيم ليس لهم سبيل إلى الخروج من النار، بل هم في عذاب سرمدي، وشقاء أبدي¹.

وفي الآية(168) نادى الرب ذو الرحمة الواسعة البشرية جمعاء وهو اعطاؤه وافضاله حللا طيبا حيث أذن لهم فيه، وأما ما لم يأذن لهم فيه فإنه لا خير لهم في أكله لما فيه من الأذى لأبدانهم وأرواحهم معا ، ثم نهاهم عن اتباع آثار عدوه وعدوهم فإنهم إن تبعوا خطواته قادهم إلى حيث شقاؤهم وهلاكهم².

2.9. الظواهر الفنية:

أ. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158]. أي يثيب على الطاعة قال أبو السعود: عبّر عن ذلك بالشكر مبالغة في الإحسان على العباد، فأطلق الشكر وأراد به الجزاء بطريق المجاز³.

ب. التشبيه المرسل المجمل في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...﴾ [البقرة: 165]. مرسل لذكر الأداة، ومجمل لحذف وجه الشبه⁴.

ج. الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: 168]. استعارة عن الاقتداء به وإتباع

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص94.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص144، 145.

³ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص92.

⁴ المرجع نفسه، ص95.

آثاره¹. قال في تلخيص البيان: أي لا تتجذبوا في قياده لأن المنجذب في قياده غيره تابع لخطواته وهذه من شراييف الاستعارة وهي أبلغ عبارة عن التحذير من طاعته فيما يأمر به وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله².

في هذا المقطع استعملت الظواهر الفنية (المجاز المرسل، الاستعارة التصريحية، التشبيه المرسل المجمل)، من أجل بيان عباده السعي بين الصفا والمروى لمن حج البيت، وهي من شعائر الله فهو الذي يقبلها أو يردها، كما بين فضيلة نشر العلم وعدم كتمانها، واللعنة والجحيم من الله على من يشرك به تعالى ويكتم العلم، وأن رحمة الله واسعة على الذين تابوا، ودوافع الله الكونية وآياته سببا في زيادة العقل العملي وفي اكتمال محبة الله تعالى، كما أخبرنا عن سوء عاقبة المشركين بعبادتهم غير الله، وكل من اتبع أحدا دون الله سيتبرأ منه يوم القيامة، وقد دعا البشرية جمعاء إلى أكل الحلال، وعدم اتباع الشيطان لأنه عدو لهم ويؤدي بهم إلى التهلكة.

10. المقطع العاشر: قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٧١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

¹. المرجع نفسه، ص 97.

². الشريفة الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 33.

الصلوة وعاتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عهدوا^ط والصديرين في البأساء والضراء^ط وحين البأس^ط
أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴿١٧٧﴾ يأتونها الذين ءامنوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي
الْقَتْلِ الْحَرْ بِالْحَرْ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ^ط فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَّأُولَىٰ الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ
مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ
إِثْمًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ
الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ
مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا
الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْكُم وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ
الصَّيَامِ الرَّفْثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا
وَأَشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ
وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴿البقرة: 171-187﴾

1.10. ملخص التفسير البياني: جاءت الآية (171) بصورة عجيبة ومثل غريب للذين يعطلون قواهم العقلية ويكتفون بالتبعية في كل شيء فقال تعالى: (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا) في

جمودهم وتقليد آبائهم في الشرك والضلال كمثل غنم ينطق بها راعيها الأمين عليها فهو اذا صاح فيها داعيا لها أو مناديا لها سمعت الصوت وأجابت ولكن لاتدري لماذا دعيت ولا لماذا نوديت لفقدائها العقل، وهذا المثل صالح لكل من يدعو أهل الكفر والضلال إلى الإيمان والهداية فهو مع من يدعوهم من الكفرة والمقلدين والضلال الجامدين كمثل الذي ينطق¹.

وفي الآيتين (172،173) نادى الجبار عز وجل عباده المؤمنين: يا أيها الذين آمنوا بالله ربا وإلاها وبالإسلام ديننا وبمحمد رسولا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ربكم ما أنعم به عليكم من حلالات اللحوم، ولا تحرموها كما حرمها مقلدة المشركين، فإنه تعالى لم يحرم عليكم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، ومع هذا من ألجأته الضرورة فخاف على نفسه الهلاك فأكل فلا إثم عليه على شرط أن لا يكون في سفره باغيا على المسلمين ولا عاديا بقطع الطريق عليهم وذلك أن الله غفور لأوليائه التائبين إليه رحيم بهم لا يتركهم في ضيق ولا حرج².

وفي الآيات (174،175،176) نزلت هذه الآيات في رؤساء اليهود حين كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة ويأخذون بدله عوضا حقيرا من حطام الدنيا، إنما يأكلون نارا تتأجج في بطونهم يوم القيامة، لأن أكل ذلك المال الحرام يفضي بهم الى النار، لا يكلمهم الله كما يكلم المؤمنين، بل يكلمهم كلام سخط وغضب ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب أليم وهو جهنم، أولئك أخذوا الضلالة بدل الهدى واستبدلوا الجحيم بالجنة فما أشد صبرهم على نار جهنم؟ وهو تعجيب للمؤمنين من جرأة أولئك الكفار، على اقتراف أنواع المعاصي، ثم قال تعالى مبينا سبب النكال والعذاب، أي ذلك العذاب الأليم بسبب أن الله أنزل كتابه التوراة ببيان الحق فكتموا وحرّفوا ما فيه و إن الذين اختلفوا في تأويله وتحريفه لفي خلاف بعيد عن الحق والصواب، مستوجب لأشدّ العذاب³.

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص146، 147.

². المرجع نفسه، ص148.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص97.

وفي الآية (177) رد الله تعالى على أهل الكتاب بادعاءهم الايمان والكمال فيه لمجرد أنهم يصلون الى قبلتهم بيت المقدس بالمغرب أو طلوع الشمس بالشرق وهما قبلتي اليهود والنصارى، وفي هذا تنبيه عظيم للمسلم الذي يقصر اسلامه على الصلاة ولا يبالي بعدها ما ترك من واجبات وما ارتكب من منهيات، بيّن تعالى لهم البار الحق في دعوى الايمان والاسلام والاحسان، فقد ذكر أركان الايمان إلا السادس منها (القضاء والقدر) وانفاق المال في سبيل الله مع حبه له وضنه به ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وفي تحرير الأرقاب وفكاك الأسرى واقام الصلاة في تأديتها على الوجه الأكمل وإيتاء الزكاة المستحقين لها، وذكر من صفاتهم الوفاء بالعهود والصبر في أصعب الظروف وأشد الأحوال، ومن هنا قرّر تعالى أن هؤلاء هم الصادقون في دعوى الإيمان والإسلام وهم المتقون بحق غضب الله وأليم عذابه¹.

وفي الآيات (178، 179، 180، 181، 182) فرض الله على المؤمنين أن يقتصوا من قاتل الإنسان، بالمساواة دون بغي أو عدوان، أي اقتصوا من الجاني فقط، فإذا قتل الحرّ الحرّ فاقتلوه به، وإذا قتل العبدّ العبدّ فاقتلوه به، وإذا قتلت الأنثى الأنثى اقتلوه بها، مثلاً بمثل، ولا تعتدوا فقتلوا غير الجاني فذلك ليس بقصاص بل هو ظلم واعتداء، فمن ترك له من دم أخيه المقتول شيء، بأن ترك وليّه القود، وأسقط القصاص، راضياً بقبول الدية فعلى العافي اتباع للقاتل بالمعروف، بأن يطالبه بالدية بلا عنف ولا ارهاق، وعلى القاتل أداء للدية إلى العافي - ولي المقتول - بلا مطل ولا بخس، فقد جمع الإسلام في عقوبة القتل بين العدل والرحمة فجعل القصاص حقا لأولياء المقتول، إذا طالبوا به وذلك عدل، وشرع الدية إذا أسقطوا القصاص عن القاتل، وذلك رحمة، فمن اعتدى على القاتل بعد قبول الدية، فله عذاب أليم في الآخرة، ولكم يا أولي العقول فيما شرعت من القصاص حياة وأيّ حياة؟ لأن القاتل إذا علم أنه إذا قتل نفساً قُتل بها يرتدع وينزجر عن القتل، فيحفظ حياته وحياة من أراد قتله، وبذلك تصان الدماء وتحفظ حياة الناس لعلكم تتقون محارم الله ومآثمه، فرض عليكم إذا أشرف

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص153.

أحدكم على الموت، وقد ترك ما لا كثيرا وجب عليه الإيصاء للوالدين والأقربين بالعدل بأن لا يزيد على الثلث، وألا يوصي للأغنياء ويترك الفقراء، حقا لازما على المتقين لله، وقد كان هذا واجبا قبل نزول آية المواريث، فمن غير هذه الوصية بعدما علمها، فإنما إثم هذا التبديل على الذين بدّلوه، لأنهم خالفوا حكم الشرع فيه وعيد شديد للمبدّلين، فمن علم أو ظنّ من الموصي ميلا عن الحق بالخطأ فأصلح بين الموصي والموصى له فلا ذنب عليه بهذا التبديل وإن الاله واسع المغفرة والرحمة لمن قصد بعمله الإصلاح¹.

وفي الآيتين (183،184) أنزل الله تعالى فرض الصيام في السنة الثانية للهجرة فناداهم بعنوان الإيمان وأعلمهم أنه كتب عليهم الصيام كما كتبه على الذين من قبلهم من الأمم السابقة وعلّل ذلك بقوله: لعلمكم تتقون ليعدكم به التقوى التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، لما في الصيام من مراقبة الله تعالى، وقد ذكر أياما معدودات ليهوّن به عليهم كلفة الصوم ومشقته، وزاد في التخفيف أن أذن للمريض والمسافر أن يفطر ويقضي بعد الصحة أو العودة من السفر كما أن غير المريض والمسافر إذا كان يطيق الصيام بمشقة وكلفة شديدة له أن يفطر ويطعم على كل يوم مسكينا وأعلمهم أن الصيام في هذه الحال خير، وأنتم تعلمون فوائد الصوم الدنيوية والأخروية وهي كثيرة أجلها مغفرة الذنوب وذهاب الأمراض².

وفي الآيات (185،186،187) بيّن تعالى وقت الصيام فقال: أن الأيام المعدودات التي فرضتها عليكم أيها المؤمنون، هي شهر رمضان الذي ابتدأ فيه نزول القرآن حال كونه هداية للناس، لما فيه من ارشاد واعجاز وآيات واضحات تفرق بين الحق والباطل، فمن حضر منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو مسافرا، فأفطر فعليه صيام أيام آخر، وكرّر ذكر المرض والسفر، لئلا يتوهم نسخه بعموم لفظ شهود الشهر، يريد الله بهذا الترخيص، التيسير عليكم لا التعسير ولتكمّلوا عدة الشهر رمضان بقضاء ما أفطرتم ولتحمّدوا الله على

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص100.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، 160،161.

ما أرشدكم إليه من معالم الدين، ولكي تشكروا الله على فضله واحسانه، ثم بين تعالى أنه قريب يجيب دعوة الداعين، ويقضي حوائج السائلين أي أنا معهم أسمع دعاءهم، وأرى تضرعهم، وأعلم حالهم، أجيب دعوة من دعاني إذا كان عن إيمان وخشوع قلب، فاستجيبوا أنتم لدعوتي بالإيمان بي لتكونوا من السعداء الراشدين، ثم شرع الله في بيان تنمة أحكام الصيام بعد أن ذكر آية القرب والدعاء، أي أبيح لكم أيها الصائمون غشيان النساء في ليالي الصوم هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم ولا تصبرون عن الانقطاع عن معاشرتهن في ليالي رمضان، وكان ذلك محرم عليهم، فقبل توبتكم وعفا عنكم، لما فعلتموه قبل النسخ، فجامعوهن في ليالي الصوم، واطلبوا بنكاحهن الولد، ولا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط، وكلوا واشربوا إلى طلوع الفجر، ثم أمسكوا عن الطعام والشراب والنكاح إلى غروب الشمس، ولا تقربوهن ليلاً أو نهاراً مادمتم معتكفين في المساجد تلك أوام الله وزواجره، وأحكامه التي شرعها لكم، فلا تخالفوها كذلك يوضح لكم الأحكام، لتجتنبوا المحارم التي نهاكم عنها ربكم¹.

2.10. الظواهر الفنية:²

أ. التشبيه المرسل المجمل: في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً...﴾ [البقرة: 171]. لقد شبه الكفار بالبهائم التي تسمع صوت المنادي دون أن تفقه كلامه وتعرف مراده.

ب. التشبيه البليغ: في قوله تعالى: ﴿...صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171]. أي هم كالصم في عدم سماع الحق، وكالعمى في عدم رؤية الهدى، وكالبكم في عدم الانتفاع بنور القرآن.

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص103، 104.

² محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص98.

ج. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿...أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: 174]. مجاز باعتبار ما يؤول إليه أي إنما يأكلون المال الحرام الذي يفضي بهم إلى النار¹.

جاء في تلخيص البيان في: قوله تعالى: ﴿...مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ.....﴾ [البقرة: 174]. هذه استعارة، كأنهم إذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكول مشبها بالأكل من النار وقوله سبحانه (فِي بُطُونِهِمْ) زيادة معنى وإن كان كل آكل إنما يأكل في بطنه وذلك أقطع سماعا وأشد إيجاعا وليس قول الرجل للآخر إنك تأكل النار. مثل قولك: إنك تدخل النار في بطنك².

د. الاستعارة التصريحية التبعية: في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: 175]. استعارة والمراد استبدلوا الكفر بالإيمان، شبه تعالى تركهم الإيمان وأخذهم الكفر، بإنسان اشترى بضاعة فدفع فيها ثمنا كبيرا، ثم ذهبت التجارة وعظمت الخسارة فأصبح من النادمين³.

هـ. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿...وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ...﴾ [البقرة: 177]. وعلاقته جزئية، حيث أطلق الرقبة وهي جزء وأراد به النفس⁴.

و. التشبيه المرسل المجمل: في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]. التشبيه في الفرضية لا في الكيفية، أي فرض الصيام عليكم كما فرض على الأمم من قبلكم⁵.

¹. المرجع نفسه، ص98.

². الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص33.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص98.

⁴. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص101.

⁵. المرجع نفسه، ص104.

ز. كناية عن موصوف في قوله تعالى: ﴿أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ [البقرة: 187]. الرفث كناية عن الجماع، وعدي بـ "إلى" لتضمنه معنى الإفضاء وهو من الكنايات الحسنة.

ح. الاستعارة التصريحية التبعية في قوله تعالى: ﴿...هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ....﴾ [البقرة: 187]. استعارة بديعة حيث شبه كل واحد من الزوجين باللباس المشتمل على لابس¹، يقول الشريف الرضي: واللباس ههنا مستعارو المراد به قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام².

ط. استعارة: قوله تعالى: ﴿...عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ...﴾ [البقرة: 187]. هذه استعارة لأن خيانة الإنسان نفسه لا تصح على الحقيقة وإنما المراد أنه سبحانه خفف عنهم التكليف في ليالي القيام بأن أباح لهم فيها مع أكل الطعام وشرب الشراب الإفضاء على النساء ولو منعهم من ذلك لعلم أن كثيرا منهم يخلع عذر الصبر ويضعف عن مغالبة النفس فيقع في المعصية وأصل الخيانة في كلامهم النقص فعلى هذا الوجه تحمل خيانة النفس³. وهي استعارة مكنية

ي. كناية عن موصوف في قوله تعالى: ﴿...فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ..﴾ [البقرة: 187]. كناية عن المباذعة الزوجية، قال ابن عباس: إن الله كريم حلیم يكني.

ك. الاستعارة المكنية الأصلية: في قوله تعالى: ﴿...حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَبْثَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَبْثِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ....﴾ [البقرة: 187]. هذه استعارة عجيبة، والمراد بها بياض الصبح وسواد الليل، والخيطان ههنا مجاز عن إشراق النهار وظلمة الليل⁴. قال الزمخشري: فإن قلت أهدا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه؟ قلت: قوله من الفجر أخرجه من باب الاستعارة، فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي أبلغ

¹. المرجع نفسه، ص104.

². الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص34.

³. المرجع نفسه، ص37.

⁴. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص104.

من التشبيه وأدخل في الفصاحة؟ قلت: لأن من شرط المستعار أن يدل عليه الحال أو الكلام، ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران، فزيد من الفجر فكان تشبيهاً بليغاً وخرج من أن يكون استعارة¹.

ويتبين لنا من هذه الآيات أنها اشتملت على أغلب أنواع الظواهر الفنية البيانية، وفي الآية (174) رغم اختلاف الرأيين بين الصابوني والشريف الرضي، إلا أننا نوافقهم الرأيين في كونها مجاز أو استعارة، ومما نلاحظه في الآية (187) هو حصرها لخمس ظواهر فنية بين الكناية والاستعارة. وهذا من وجوه اعجاز القرآن وعلو مكانته. وقد استعملت الظواهر لتذكيره تعالى في عدم اتباع المشركين للإسلام والحق واتباعهم لأبائهم الذين لا يعقلون شيئاً، وقد حرم الله على المؤمنين الأطعمة ذات الضرر، ولطفه تعالى في الإباحة للمضطر، وأخبر أن كتمان الحق نوع من الكبر يبوء صاحبه بغضب الله وعقابه، وأن البر والتقوى معان وأعمال وليست صور وأشكال، كما شرع تعالى القصاص لحماية الحياة الإنسانية، والوصية والميراث للأقربون، لأنهم أولى الناس بقربهم فيما تركه من ميراث ومال، وقد فرض الله الصيام، وبيّن أحكامه، وهو عبادة في شرائع الله، فيه مجامع الخير الذي يعوّض قصر حياة أفراد الأمة المسلمة، وبيان فضيلة الدعاء فيه، كما بيّن تعالى تشريعات ربانية في الصيام رحمة منه على هذه الأمة.

11. المقطع الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مَّنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ

¹ أبو القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص 339.

يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ
 حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ
 فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
 وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا
 مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ
 كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنْ
 النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ [البقرة: 194-200]

1.11. ملخص التفسير البياني: بين تعالى أن قتال المشركين لهم في الشهر الحرام يبيح
 للمؤمنين دفع العدوان فيه، أي إذا قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في الشهر الحرام، فكما
 هتكوا حرمة الشهر واستحلوا دماءكم فيه، فافعلوا بهم مثله فمن قاتلكم في الحرم ردوا عن
 أنفسكم العدوان فقابلوه وجازوه بالمثل، وراقبوا الله في جميع أعمالكم وأفعالكم، واعلموا أن
 الله مع المتقين بالنصر والتأييد في الدنيا والآخرة، وأنفقوا في الجهاد وفي سائر وجوه
 القربات، ولا تبخلوا في الإنفاق فيصيبكم الهلاك، ويتقوى عليكم الأعداء، وقيل معناه: لا
 تتركوا الجهاد في سبيل الله و تشغلوا بالأموال والأولاد فتهلكوا وأحسنوا في جميع أعمالكم
 حتى يحبكم الله وتكونوا من أوليائه المقربين¹، هذا ما تضمنته الآيتان (194، 195).

أما الآيات (196، 197، 198، 199، 200) يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يتموا الحج
 والعمرة له سبحانه فيأتوا بها على الوجه المطلوب، ويخبرهم أنهم إذا أحصروا فلم يتمكنوا
 من اتمامها فالواجب عليهم أن يذبحوا أو ينحروا ما تيسر لهم من بدنة، أو بقرة، أو شاة فإذا
 ذبحوا حلوا من احرامهم، وذلك بخلق شعر رؤوسهم أو تقصيره، حتى يصل الهدى المكان
 الذي يحل ذبحه فيه وهو الحرم، أو مكان الإحصار، كما أعلمهم أن من كان منهم مريضا أو

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 107.

به أذى من رأسه واضطر إلى حلق شعر رأسه أو لبس ثوب فالواجب بعد أن يفعل ذلك فدية وهي واحد من ثلاثة على التخيير: صيام ثلاثة أيام أو اطعام ستة مساكين لكل مسكين حفتان من الطعام، أو ذبح شاة، كما أعلمهم أن من تمتع بالعمرة إلى الحج ولم يكن منسكان الحرم أن عليه ما استيسر من الهدى شاة أو بقرة أو بعير فإن لم يجد ذلك صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام إذا رجع إلى بلاده، وأمرهم بتقواه عز وجل وهي امتثال أو امره والأخذ بتشريعه وحذرهم من إهمال أمره والاستخفاف بشرعه، فأخبر تعالى أن الحج له أشهر معاومة وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة فلا يحرم بالحج إلا فيها، وأن من أحرم بالحج يجب عليه أن يتجنب الرفث والفسق والجدال حتى لا يفسد حجه أو ينقص أجره، وانتدب الحاج إلى فعل الخير من صدقة وغيرها ولازمه أن يثيب عليه ويجزي به، وأمر الحاج أن يتزودوا التقوى فإنها خير زاد، ومن التقوى عدم سؤال الناس أموالهم وأمرهم بتقواه عز وجل، أي بالخوف منه حتى لا يعصوه في أمره ونهيه، ثم أباح لهم الاتجار أثناء وجودهم في مكة ومنى، ثم أمرهم بذكر الله تعالى في مزدلفة بصلاة المغرب والعشاء والصبح فيها وذلك بعد افاضتهم من عرفة بعد غروب الشمس، ثم ذكرهم بنعمة هدايته لهم بعد الضلال الذي كانوا فيه وذلك بالإكثار من ذكره، ثم أمرهم بالمساواة في الوقوف بعرفة والإفاضة منها فليقفوا كلهم بعرفات، وليفيضوا جميعا منها وذلك أن الحمس - وهم قریش كانوا يقولون : نحن أهل الله فلي بلدته - كانوا يفيضون أدنى عرفات حتى ينجوا من الزحمة، فأمرهم ربهم بالاستغفار أي طلب المغفرة منه ووعدهم بالمغفرة، ويرشد تعالى المؤمنين إذا فرغوا من مناسكهم أن يكثرُوا من ذكر الله عند رمي الجمرات، وعند الخروج من الصلوات ذكرا مبالغا في الكثرة منه على النحو الذي كانوا في الجاهلية يذكرون فيه مفاخر آبائهم وأحساب أجدادهم¹. فمن الناس من تكون الدنيا همه فيقول: اللهم اجعل عطائي ومنحتي في الدنيا خاصة، وما له في الآخرة من حظ ولا نصيب².

¹ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 177، 179، 180، 182.

² محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 110.

2.11. الظواهر الفنية:

أ. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿... فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 194]. أطلق الاعتداء على الجزاء، ووضح أن الاعتداء الثاني في الآية غير الاعتداء الأول، فالأول جرم والثاني جزاء، فلا يراد به الاعتداء حقيقة كالمعنى الأول، بل المراد المجازات فقط، إذ لا يأمر الله تعالى بالاعتداء قطعاً، وإنما سمي كذلك لأنه مسبب حصل بسبب الاعتداء. فعلاقته السببية.

ب. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 195]. والمجاز في كلمة (الأيدي) والمراد بها الأنفس، لأن البطش والحركة يكون بها، وعلاقته الجزئية.

ج. كناية: في قوله تعالى: ﴿... حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ...﴾ [البقرة: 196]. كناية عن ذبحه مكان الإحصار. أي لا تتحللوا من احرامكم بالحلق أو التقصير، حتى يصل ما يهدى إلى بيت الله من أنواع الأنعام كالإبل والبقر والغنم، والمحل هو المكان الذي يحل ذبحه فيه وهو الحرم أو مكان الإحصار¹. فهي كناية عن موصوف.

د. التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ [البقرة: 200]. أي إذا فرغتم من أعمال الحج أذكروا الله وبالغوا في ذلك كما كنتم تذكرون آباءكم وتعدون مفاخرهم².

استعمل النص القرآني الظواهر الفنية البيانية، لبيان أحكام التشريع الإسلامي. فالله تعالى يبين المعاملة بالمثل حق ولا ينبغي الزيادة عليه إلا بإحسان، وأن الصدقة في التشريع الإسلامي، والقتال في سبيل الله هما ثمن الجنة، ويأمر تعالى عباده المؤمنين أن يتموا الحج والعمرة له سبحانه، وتطبيق تشريعاته من احصار وأيام التشريق وذكر الله فيها كثيراً، والحج برهان على سمو هذه الأمة، ومن طلب الدنيا لم يؤت الآخرة.

¹. المرجع نفسه، ص 108، 110.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 111.

12. المقطع الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۚ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلِ الْأَعْفُو كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا مَآئِمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى التَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْحَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ ۚ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [البقرة: 219-223]

1.12. ملخص التفسير البياني: يسألونك يا محمد عن حكم الخمر وحكم القمار، قل لهم إن في تعاطي الخمر والميسر ضررا عظيما واثما كبيرا، ومنافع مادية ضئيلة، وضررهما أعظم من نفعهما، لما فيهما من ضياع العقل وذهاب المال، وتعريض البدن للأمراض، وخراب البيوت وحدوث البغضاء والعداوة بين لاعبي القمار، ويسألونك ماذا ينفقون وماذا يتركون من أموالهم؟ قل لهم: أنفقوا الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيّعوا أنفسهم، كما يبين لكم الأحكام يبين لكم المنافع والمضار، والحلال والحرام، لتتفكروا في أمر الدنيا والآخرة، فتعلموا أن الأولى فانية والآخرة باقية، فتعلموا لما هو أصح، والعاقلة من أثر ما يبقى على ما يفنى، ويسألونك يا محمد عن مخالطة اليتامى في أموالهم؟ أياخالطونهم أم يعتزلونهم؟ فقل لهم: مداخلتهم على وجه الإصلاح خير من اعتزالهم، أي إذا خلطتم أموالهم بأموالكم على وجه المصلحة لهم، فهم اخوانكم في الدين، وأخوة الدين أقوى من أخوة النسب، والله تعالى أعلم وأدرى، بمن يقصد بمخالطتهم الخيانة

والإفساد لأموالهم، ويعلم كذلك من يقصد لهم الإصلاح، فيجازي كلا بعمله، ولو شاء الله لأوقعكم في الحرج والمشقة وشدّد عليكم، ولكنه يسّر عليكم الدين وسهله رحمة بكم، فهو الحكيم فيما يشرّع لعباده من الأحكام¹. هذا ما تضمنته الآيتان (219، 220)، أمّا الآية (221) ينهي الله تعالى المؤمنين أن يتزوجوا المشركات إلّا أن يؤمن بالله ورسوله، فإن آمن جاز نكاحهن، وأعلمهم منفرا من نكاح المشركات مرغبا في نكاح المؤمنات فقال ولأمة مؤمنة خير من حرة مشركة، ولو أعجبتكم المشركة لحسنها وجمالها، كما نهاهم محرما عليهم أن يزوجوا المؤمنات بالمشركيين حتى يؤمنوا فإن آمنوا جاز لهم أن ينكحوهم بناتهم ونساءهم، وقال منفرا مرغبا ولعبد مؤمن خير من حر مشرك ولو أعجبهم المشرك لشرفه أو ماله أو سلطانه، وعلّل لذلك بقوله أولئك أي المشركات والمشركون يدعون إلى النار فمخالطتهم مضرة ومفسدة لا سيما بالتزوج منهم، والله عز وجل يدعو إلى الجنة بالإيمان والعمل الصالح، وإلى المغفرة بالتوبة الصادقة فاستجيبوا له وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم عنه، كما أنه تعالى بيّن آياته للناس ليعدهم للتذكر والاعتاظ فيقبلون على طاعته الموصلة إلى رضاه والجنة، ويبعدون عن معصيته المؤدية إلى سخطه و النار².

وفي الآيتان (222، 223) بيّن تعالى أحكام الحيض بمعنى يسألونك يا أيها الرسول عن إتيان النساء في حالة الحيض، أيحل أم يحرم؟ فقل لهم: إنه شيء مستقذر، ومعاشرتهن في هذه الحالة فيه أذى للزوجين، فاجتنبوا معاشرة النساء في حالة الحيض ولا تجامعوهن حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويغتسلن، فإذا تطهّرن بالماء، فأتوهن في المكان الذي أحله الله لكم، وهو مكان النسل والولد، وهو القبل لا الدبر، والمراد من الآية التنبيه على أن الغرض (عدم المعاشرة) لا عدم القرب منهن، وعدم مؤاكلتهن ومجالستهن، كما كان يفعل اليهود³. وأعلمهم تعالى أنه يحب التوابين من الذنوب المتطهرين من النجاسات والأقذار، وقد سمى تعالى المرأة حرثا لأن رحمها ينبت فيه الولد كما ينبت الزرع في الأرض الطيبة وما دام

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 218، 219.

². أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 204.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 119.

الأمر كذلك فليأت الرجل امرأته كما شاء مقبلة أو مدبرة إذ المقصود حاصل وهو الإحصان وطلب الولد، شرط أن يكون ذلك في القبل لا الدبر، ثم وعظ الله عباده بقوله: وقدموا لأنفسكم من الخير ما ينفعكم في آخرتكم واعلموا أنكم ملاقوا الله تعالى فلا تغفلوا عن ذكره وطاعته إذ هذا هو الزاد الذي ينفعكم يوم تقفون بين يدي ربكم، وأخيرا أمر رسوله أن يبشر المؤمنين بخير الدنيا والآخرة وسعادهما إيمانه صحيحا مثمرا بالتقوى والعمل الصالح¹.

2.12. الظواهر الفنية:

أ. التشبيه المرسل المجمل: في قوله تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219]. أي كما بيّن لكم أنّ الأصلح صدقة العفو، من شأنه تبين سائر الآيات التي تنزل بعد أو مطلقا، لعلكم تأخذون ما يصلح لكم ولا يضرّكم². فقد ذكرت الأداة (الكاف)، وحذف وجه الشبه.

ب. التشبيه البليغ: في قوله تعالى: ﴿...قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ...﴾ [البقرة: 222]. حيث جعله عين الأذى والضرر، فأصبح بليغا. وأصله الحيض شيء مستقذر كالأذى، فحذف ذلك مبالغة حد قولهم: علي أسد³.

ج. التشبيه: في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 223]. هذا على سبيل التشبيه، فالمرأة كالأرض والنطفة كالبذر والولد كالنبات، فالحرث بمعنى المحترث على سبيل المبالغة⁴. فهو تشبيه بليغ.

ومنه فهذه الآيات قد استعملت الظاهرة الفنية التشبيه بنوعيه (المرسل المجمل والبليغ) لما فيها من التبيين والايضاح في الأمور الدينية والدنيوية. فهي تبين أحكام الخمر والميسر،

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص206، 207.

². أمحمد بن يوسف أطفيش، تيسير التفسير، تح إبراهيم بن محمد طلاي، دار التوفيقية، الجزائر، 2011م، د. ط، ج2، ص35.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص120.

⁴. نفس المرجع، ص121.

ومحو السيء والاتصاف بالخير، واستقامة النفس البشرية بالتخلي عن النقائص والاستزادة من المحاسن، كما بين تعالى تكافل المجتمع المسلم والتربية النفسية في الإسلام تنشأ من الداخل، والولاء في المجتمع المسلم لله تعالى وحده ولمن آمن به، وأحكام في الزواج من المشركين، وأحكام الحيض، والطهارة في الحياة الأسرية شاملة حسا ومعنى.

13. المقطع الثالث عشر: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٣٠ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَكُنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَّعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا عَآيِيتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ١٣١ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ١٣٢ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١٣٣﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَكُنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمَا بِالْمَعْرُوفِ ١٣٤ ذَلِكَ يُعَظُّ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ١٣٥ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ ١٣٦ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٣٧ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ١٣٨ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بَوْلِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ١٣٩ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ١٤٠ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ ١٤١ وَأَتَّقُوا اللَّهَ ١٤٢ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ١٤٣ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ١٤٤ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ١٤٥ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٤٦ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ١٤٧ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ١٤٨ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ١٤٩﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ١٥٠ وَتَتَّعِبُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ ١٥١ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ١٥٢ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ ١٥٣ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ١٥٤ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ١٥٥ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَقَّونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتْنِعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يبينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة: 230-245]

1.13. ملخص التفسير البياني: يبين تعالى حكم طلاق الرجل للمرأة المطلقة الثالثة، فلا تحل له بعد ذلك حتى تتزوج غيره وتطلق منه، بعد أن يذوق عسيلتها وتذوق عسيلته، كما صرح به الحديث الشريف، وفي ذلك زجر عن طلاق المرأة ثلاثاً، لمن له رغبة في زوجته، إن طلقها الزوج الثاني، فلا بأس أن تعود إلى زوجها الأول بعد انقضاء العدة، إن كانت ثمة دلائل تشير إلى الوفاق وحسن العشرة، تلك شرائع الله وأحكامه، يوضحها ويبينها لذوي العلم والفهم، الذين ينظرون في عواقب الأمور¹. هذا ما تضمنته الآية (230).

أما الآية (231) وإذا طلقتم النساء فوصلن إلى آخر عدتهن فراجعوهن من غير ضرار، أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل، ولا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن، كأن المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الأجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها، فنهي عنه أي لتظلموهن بالتطويل أو الإلجاء إلى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد عرض نفسه للعقاب، ولا تتخذوا آيات الله هزوا وذلك بالإعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها، كأنه نهى عن الهزؤ وأراد به الأمر بضده، واذكروا نعمة الله التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم، بالشكر والقيام بحقوقها، وما أنزل عليكم من القرآن والسنة أفردهما بالذكر اظهاراً لشرفهما،

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 123.

يعظكم بما أنزل عليكم فخافوا الله وراقبوه في أعمالكم واعلموا أنه تعالى لا تخفى عليه خافية من أحوالكم¹.

وفي الآية (232) ينهي الله تعالى أولياء أمور النساء أن يمنعوا المطلقة طلاقاً أو طلقين فقط من أن تعود إلى زوجها الذي طلقها وبانت منه بانقضاء عدتها، إذا رضيت هي بالزواج منه مرة أخرى ورضي هو به وعزما على المعاشرة الحسنة بالمعروف، وهذا النهي عن العضل يوجه إلى أهل الإيمان بالله واليوم الآخر فهم الأحياء الذين يستجيبون لله ورسوله إذا أمروا أو نهوا. وأخبرهم تعالى أن عدم منع المطلقة من العودة إلى زوجها خير لهم حالا ومآلاً وأظهر لقلوبهم ومجتمعهم، وأعلمهم أنه يعلم عواقب الأمور وهم لا يعلمون فيجب التسليم بقبول شرعه، والانصياع لأمره ونهيه².

وفي الآية (233) ذكر تعالى أحكام الرضاع فعلى الأم المطلقة أن ترضع ولدها حولين كاملين إن أرادت هي وأب الرضيع اتمام الرضاعة، وأن على المولود له وهو الأب إن كان موجوداً نفقة المرضعة طعاماً وشراباً وكسوة بالمعروف بحسب حال الوالد من الغنى والفقر، إذ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها من قدرة، ثم نبّه تعالى على أنه لا يجوز أن تؤذى الوالدة بسبب ولدها بأن تمنع من إرضاع ولدها أو تحرم النفقة مقابل الإرضاع أو يضيق عليها كما لا يجوز أن يضار أي يؤذى المولود له وهو الأب بأن يجبر على إرضاع ولده من أمه وقد طلقها ولا أن يطالب بنفقة باهظة لا يقدر عليها، وعلى الوارث وهو الرضيع نفسه إن كان له مال، وإن لم يكن له مال فعلى الأم أن ترضعه مجاناً لأنها أقرب الناس إليه، ثم ذكر تعالى رخصتين في الإرضاع الأولى إن أراد الأبوان فطام الولد قبل عامين فإن لهما ذلك بعد التشاور في ذلك وتقدير مصلحة الولد من هذا الفطام المبكر أي لا تضيق ولا حرج، والثانية إن أراد المولود له أن يسترضع لولده من مرضعاً غير أمه فله ذلك إن طابت به نفس الأم بشرط أن يسلم الأجرة المتفق عليها بالمعروف بلا إجحاف ولا مماطلة، وأخيراً وعظ الله كلا

¹ ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل

المعروف بتفسير البيضاوي، تق محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

السنة؟، ط؟، ج1، ص143.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص219.

من المُرْضِع والمُرْضَع له بتقواه في هذه الحدود التي وضعها لهما، وأعلمهم أنه بما يعملون بصير فليحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، فسبحانه من إله عظيم رحيم¹.

وفي الآيتين (234، 235) وجب تعالى على النساء اللواتي يموت أزواجهن، أن يمكن في العدة أربعة أشهر وعشرة أيام، حدادا على أزواجهن، وهذا الحكم لغير الحامل، أما الحامل فعدتها وضع الحمل، فإذا انقضت عدتهن فلا اثم عليكم أيها الأولياء في الإذن لهن بالزواج، وفعل ما أباحه لهن الشرع، من الزينة والتعرض للخطاب والله عليم بجميع أعمالكم فيجازيكم عليها، ولا اثم عليكم أيها الرجال في التعريض بخطبة النساء، المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، بطريق التلميح لا التصريح، كقول الرجل: وددت أن الله يسر لي امرأة صالحة، وإن من النساء لمن حاجتي، ولا اثم عليكم فيما أخفيتموه في أنفسكم من رغبة الزواج بهنّ قد علم الله أنكم ستذكرونهن في أنفسكم، ولا تصبرون عنهن، فرفع عنكم الحرج، فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن بالنكاح سرا، إلا بطريق التعريض والتلويح، وبالمعروف الذي أقره لكم الشرع، ولا تعقدوا عقد النكاح حتى تنتهي العدة واحذروا عقابه في مخالفتكم أمره واعلموا أن الله يمحو ذنب من أناب، ولا يعاجل العقوبة لمن عصاه².

وفي الآيتين (236، 237) يخبر تعالى عباده المؤمنين أنه لا اثم ولا حرج عليهم إن هم طلقوا أزواجهن قبل البناء بهن، وقبل أن يسموا لهن مهورا أيضا وفي هذين الحالين يجب عليهم أن يمتنعوا بأن يعطوا المطلقة قبل البناء ولم تكن قد أعطيت مهرا ولا سمي لها فيعرف مقداره في هذه الحال وقد تكون نادرة يجب على الزوج المطلق جبرا لخطرها أن يعطيها مالا على قدر غناه وفقره تتمتع به أياما عوضا عما فاتها من التمتع بالزواج. كما يخبر أن من طلق امرأته قبل البناء بها وقد سمي لها صداقا قل أو كثر فإنّ عليه أن يعطيها وجوبا نصفه إلا أن تعفو عنه المطلقة فلا تأخذه تكرما، أو يعفو المطلق تكرما فلا يأخذ منه شيئا فيعطيها إياه كاملا، ثم بعد تقرير هذا الحكم العادل دعا الله تعالى الطرفين إلى العفو، وأن من عفا منهما كان أقرب إلى التقوى، ونهاهم مع هذا عن عدم نسيان المودة والإحسان بينهما³.

أما الآيتان (238، 239) فإنه تعالى لما أمر بالعفو، والتسامح، وعدم نسيان الفضل بعد الطلاق، حثّ على المحافظة على الصلاة، لأنها أعظم وسيلة إلى نسيان هموم الدنيا، وتنتهي

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 221، 222.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 127.

³. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 227.

عن الفحشاء والمنكر، فيأمر تعالى بالمحافظة على الصلاة في وقتها، وحفظ حدودها، وإتمام ركوعها، وسجودها وخشوعها، وإفراد الصلاة الوسطى بالذكر، وقد دخلت في عموم الصلوات تشريفاً لها، واختلف فيها على عشرة أقوال، والمعتمد أنها صلاة العصر، فقوموا لله مطيعين خاضعين خاشعين في الصلاة، فإن لم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين حدود الصلاة لخوف عدوٍّ، أو خوف سبع، فصلّوا مشاة على أرجلكم، أو ركباناً على دوابكم، مستقبلين القبلة، وغير مستقبلين، ولا تهملوها أصلاً، فإذا أمنتُم فأقيموا الصلاة كما أمرتم، فأتّموا لها ركوعها، وسجودها وقيامها وقعودها وخشوعها، مثل ما أنعم الله عليكم، وهداكم للإيمان، وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقابلوه بالشكر والذكر¹.

وفي الآيات (240، 241، 242) ما زال السياق في بيان حقوق النساء المطلقات والمتوفى عنهن، فيخبر تعالى أن الذين يتوفون من المؤمنين ويتركون أزواجاً فإنّ لهن من الله تعالى وصية على ورثة الزوج المتوفى وهي أن يسمحوا لزوجته أن تبقى معهم في البيت تأكل وتشرب إلى نهاية السنة بما فيها مدة العدة وهي أربعة أشهر وعشر ليالٍ إلا إذا رغبت في الخروج بعد انقضاء العدة فلها ذلك، فلا جناح للمعتدة إذا انقضت عدتها أن تتزين وتتعرض للخطاب لتتزوج، وما ختمت به الآية والله عزيز حكيم إشارة إلى أن هذه الوصية قد شرعها عزيز حكيم فهي متعينة التحقيق والتنفيذ. والمطلقة المبنى بها واجب على مطلقها أن يمتعها بشيء من المال، لأن لها المهر كاملاً، كهذا التبين لأحكام الطلاق والخلع والرضاع والعدد والمتع يبين تعالى لنا آياته المتضمنة أحكام شرعه لنعقلها ونعمل بها فنكمل عليها ونسعد في الحياتين الدنيا والآخرة².

وفي الآيات (243، 244، 245) ذكر تعالى أحكام الجهاد في معنى قوله: ألم يصل إلى سمعك أيها المخاطب حال أولئك القوم الذين خرجوا من وطنهم وهم ألوف مؤلفة، خوفاً من الموت وفراراً منه، وهم قوم من بني إسرائيل، دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا خوفاً من الموت فأماتهم الله، ثمانية أيام ثم أحياهم بدعوة نبيهم، فعاشوا بعد ذلك دهراً، وقيل: هربوا من الطاعون فأماتهم الله، إنه ذو انعام وإحسان على الناس، حيث يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة، ما يبصّرهم بما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، ولكن أكثر الناس لا

¹. محمد علي طه الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق

بيروت، 2009م، ط1، ج1، ص568-572.

². أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص229، 230.

يشكرون الله على نعمه، بل ينكرون ويجحدون، وقاتلوا الكفار لإعلاء دين الله، لا لحظوظ النفس وأهوائها، واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأحوالكم، فيجازيكم عليها، وكما أن الحذر لا يغني من القدر، فكذلك الفرار من الجهاد لا يقرب أجلا ولا يبعده، أي من الذي يبذل ماله وينفقه في سبيل الخير ابتغاء وجه الله، ولإعلاء كلمة الله في الجهاد وسائر طرق الخير، فيكون جزاؤه أن يضاعف الله تعالى له ذلك القرض أضعافا كثيرة، لأنه قرض لأغنى الأغنياء رب العالمين جلّ جلاله، ويقترّ على من يشاء ويوسع على من يشاء ابتلاء وامتحانا فيجازيكم على أعمالكم يوم القيامة¹.

2.13. الظواهر الفنية:

أ. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبُغْنَ أَجَلَهُنَّ...﴾ [البقرة: 230]. أي قاربين انقضاء عدتهن، أطلق الكل على الأكثر، فهو مجاز مرسل لأنه لو انقضت العدة لما جاز له إمساكها والله تعالى يقول: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾².

ب. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿... أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ...﴾ [البقرة: 232]. يراد بأزواجهن المطلقين لهن، فهو من باب المجاز المرسل والعلاقة اعتبار ما كان (قبل الطلاق)³.

ج كناية في قوله تعالى: ﴿... وَلَكِنْ لَا تُؤَاخِذُوهُنَّ سِرًّا...﴾ [البقرة: 235]. في هذه الآية كنى القرآن الكريم عن الجماع بالسر لما فيها من ألوان الأدب والتعذيب ما يعجز عن وصفه أساطير البيان، بحيث لا يمكن فهم ما تنطوي عليه الكناية في القرآن من الأسرار⁴.

د كناية عن موصوف في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ...﴾ [البقرة: 236]. كنى تعالى بالمس عن الجماع تأديبا وتعلিما للعباد، في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به⁵.

ه. كناية عن موصوف في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ...﴾ [البقرة: 237]. كناية عن الجماع وقد تقدم البيان¹.

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 131، 132.

² المرجع نفسه، ص 125.

³ المرجع نفسه، ص 126.

⁴ سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم-نظريا وتطبيقيا-، ص 83.

⁵ شمسوني الماجستير، الكناية القرآنية ومكوناتها التربوية-دراسة على تعبيرات الكناية في سورة البقرة، ص 65.

و. التشبيه المؤكد: في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 245]. شبه تعالى عطاء المؤمن في الدنيا بما يرجو ثوابه في الآخرة بالقرض، كما شبه بذل النفوس والأموال في الجنة بالبيع والشراء وهنا التشبيه بغير أدواته في قرضا حسنا حيث شبه قبوله تعالى إنفاق العبد في سبيله ومجازاته عليه بالقرض الحقيقي، فأطلق اسم القرض عليه².

ويبدو لنا مما سبق ذكره في هذا المقطع أنه استعمل الظواهر الفنية لإبراز أحكام الطلاق والرضاعة، والنفقة والصلاة. وفي الآية (235) كناية عن موصوف.

فإن الله تعالى بين تشريعات الطلاق وأن هدفها استمرار بلطف ورحمة أو انفصال بكرم واحسان، وحسن معاملة المطلقات، وأن مراقبة الله تعالى هي التي تسير المسلم في السر والعلن، كما بين لنا أحكام الرضاعة والنفقة، والثبوت في عدة المتوفى عنها زوجها، والحفاظ على النسب أحد ضروريات الحياة الإنسانية، والحفاظ على الأسرة والوفاء للزوج شيء ثمين في شرع الله، والاستقلال المادي للمرأة هو من إكرام الإسلام للمرأة دون غيره، وفي متعة المطلقة، ووجوب نصف المهر قبل الدخول، كما بين تعالى أحكام الصلاة وآدابها، والحفاظ على الصلوات له أثر عظيم في الحياة الفردية والاجتماعية، وهو مطلوب مدى استقرار الروح في الجسد. وبيان الإنفاق والجهد في سبيل الله، وأنه تعالى يجازي الناس على أعمالهم يوم القيامة.

14. المقطع الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي

¹ المرجع نفسه، ص 66.

² أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ص 261، 262.

يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٢﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٣﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٥﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٦﴾ [البقرة: 250-259]

1.14. ملخص التفسير البياني: في الآيات (250، 251، 252) بين تعالى المعركة بين جيش الإيمان وجيش الكفر وما انتهت إليه من نصر حاسم للمؤمنين الصادقين، فلما التقى الجيشان طالب جالوت بالمبارزة فخرج له داود من جيش طالوت فقتله والتحم الجيشان فنصر الله جيش طالوت وكان عدد أفراده ثلاثمائة وأربعة عشر مقاتلا لا غير، وهنا ظهر كوكب داود في الأفق بقتله رأس الشر جالوت فمن الله عليه بالنبوة والملك وعلمه ما يشاء، وختم الله القصة ذات العبر ولولا دفع الله الناس بالجهاد والقتال، لاستولى أهل الكفر وأفسدوا الأرض بالظلم والشرك، ولكن الله تعالى بتدبيره الحكيم يسلط بعضا على بعض، ويدفع بعضا ببعض منة منه وفضلا، ثم التفت إلى رسوله محمد صلی الله علیه وسلم وقال له: تقريرا لنبوته وعلو مكانته تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق، وإنك لمن المرسلين¹.

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 239، 240.

أما الآيات (253، 254) أخبر تعالى أن أولئك الرسل الكرام الذين قصصنا عليك من أنبيائهم يا محمد، هم رسل الله حقاً، وقد فضّلنا بعضهم على بعض، في الرفعة والمنزلة والمراتب العالية، منهم من خصّه الله بالتكليم بلا واسطة كموسى عليه السلام، ومنهم من خصّه الله بالمرتبة الرفيعة السامية كخاتم المرسلين محمد صلّى الله عليه وسلّم، وكأبي الأنبياء إبراهيم الخليل، ومنهم من أعطاه الله المعجزات الباهرات، كإحياء الموتى، وإبراء الأعشى والأبرص، والإخبار عن المغيبات وقويناه بجبريل الأمين وهو عيسى ابن مريم، ولو أراد الله ما اقتتل الأمم الذين جاءوا بعد الرسل، من بعد الحجج الباهرة، والبراهين الساطعة التي جاءتهم بها رسلهم، فلو شاء الله ما تنازعوا ولاختلفوا ولا تقاتلوا، ولجعلهم متفقين على اتباع الرسل، كما أن الرسل متفقون على كلمة الحق، ولكن الله لم يشأ هدايتهم بسبب اختلافهم في الدين، وتشعب مذاهبهم وأهوائهم، فمنهم من ثبت على الإيمان ومنهم من حاد وكفر، ولو شاء الله جلّ وعلا لجعل البشر على طبيعة الملائكة، ولا يتنازعون ولا يقتتلون، ولكن الله حكيم يفعل ما فيه المصلحة، وكل ذلك عن قضاء الله وقدره، فهو الفعال لما يريد، وأنفقوا في سبيل الله من مال الله الذي منحكم إياه، ادفعوا الزكاة، وأنفقوا في وجوه الخير والبر والصالحات، من قبل مجيء ذلك اليوم الرهيب، الذي لا تستطيعون أن تفتدوا منه نفوسكم بمال تقدمونه فيكون كالبيع، ولا تجدون صديقا يدفع عنكم العذاب، ولا شفيعا لكم ليحط عنكم من سيئاتكم، إلّا أن يأذن الله رب العالمين، والكافر بالله هو الظالم المعتدي، الذي يستحق العقاب، لأنه ظلم نفسه بالكفر¹.

والآية (255) هي آية الكرسي، ولها شأن عظيم، قد صح الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنها أفضل آية في كتاب الله²، وأخبر الله فيها عن جلاله وكماله وعظيم سلطانه وأنه هو المعبود بحق، الدائم الحياة التي لم تسبق بموت ولم يطرأ عليها موت، العظيم القيومية على كل شيء، لولا قيوميته على الخلائق ما استقام من أمر العوالم شيء، لا تأخذه نعاس ولا نوم وهما من

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 135.

² عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ص 474.

صفات النقص وهو تعالى ذو الكمال المطلق، إذ من ينعس وينام لا يتأتى له القيومية على الخلائق ولا يسعها حفظا ورزقا وتدبيراً، له ما في السماوات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، ينفي تعالى أن يشفع عنده في الدنيا أو في الآخرة أحد كائن من كان بدون أن يأذن له في الشفاعة، ويعلم ما بين أيديهم وما خلفهم لكمال عجزهم، وسع كرسيه السماوات والأرض لكمال ذاته، ولا يتقله أو يشق عليه حفظ السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وهو العلي الذي ليس فوقه شيء، والقاهر الذي لا يغلبه شيء، العظيم الذي كل شيء أمام عظمته صغير حقير¹.

وفي الآيتين (256، 257) يخبر تعالى أنه لا إكراه ولا إجبار ولا إكراه لأحد على الدخول في دين الإسلام، فقد بان ووضح الحق من الباطل والهدى من الضلال، فمن كفر بما يعبد من غير الله، كالشيطان والأوثان، وآمن بالله فقد تمسك من الدين بأقوى سبب لا انقطاع لها ولا زوال، والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم، الله ناصر المؤمنين وحافظهم ومتولي أمورهم، يخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة، إلى نور الإيمان والهداية، وأمّا الكافرون فأولياؤهم الشياطين، يخرجونهم من نور اليقين والإيمان، إلى ظلمات الشك والضلال، أولئك ماكثون في نار جهنم لا يخرجون منها أبداً².

وفي الآية (258) ذكر تعالى محاجة النمرود لإبراهيم عليه السلام فقال تعالى مخاطباً رسوله محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي ألم ينته إلى علمك حاج ذاك الطاغية الذي بطرته نعمة الملك الذي آتيناه امتحانا له فكفر وادعى الربوبية وحاج خليلنا فبينما إنه لأمر عجب، إذ قال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، وأنت لا تحيي ولا تميت فقال أنا أحيي وأميت، فرد عليه إبراهيم حجته قائلاً: ربي يأتي بالشمس من المشرق

¹ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 244، 245.

² محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 137.

فأت بها أنت من المغرب فاندھش وتحير وانقطع وأيد الله وليه ابراهيم فانتصر، فهذا مثال لإخراج الله تعالى أوليائه من ظلمة الجهل إلى نور العلم¹.

وفي الآية (259) هي مثل لمن أراد الله هدايته، والمعنى: ألم ينته إلى علمك كذلك مثل الذي مرّ على قرية، وقد سقطت جدرانها على سقوفها، وهي قرية (بيت المقدس) لما خربها بختنصر، وقال ذلك الرجل الصالح واسمه عزيز على الرأي الأشهر: كيف يحي الله هذه البلدة بعد خرابها ودمارها؟ وكان راكبا على حماره حينما مرّ عليها، فأما الله ذلك السائل، واستمر ميتا مائة سنة، ثم أحياه الله ليريه كمال قدرته، وقال له ربه بواسطة الملك: كم مكثت في هذه الحال؟ قال يوما، ثم نظر حوله فرأى الشمس باقية لم تغب فقال: أو بعض يوم أي أقل من يوم، فخاطبه ربه بقوله: بل لبثت ميتا مائة سنة كاملة، إن شككت فانظر إلى طعامك لم يتغير بمرور الزمن، وكان معه عنب وتين وعصير، فوجدها على حالها لم تفسد، وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وصار هيكلا من البلى، وفعلنا ما فعلنا لتدرك قدرة الله سبحانه، ولنجعلك معجزة ظاهرة تدل على كمال قدرتنا، وتأمل في عظام حمارك النخرة، كيف نركب بعضها فوق بعض، وأنت تنظر، ثم نكسوها لحما بقدرتنا؟ فلما رأى الآيات الباهرات، قال: أيقنت وعلمت علم مشاهدة أن الله على كل شيء قدير².

2.14. الظواهر الفنية:

أ. الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 250]. فقد شبه حالهم والله تعالى يفيض عليهم الصبر، بحال الماء يصب ويفرغ على الجسم فيعمّه كلّ، ظاهره وباطنه فيلقي في القلب بردا وسلاما، وهدوءا واطمئنانا³.

¹. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 248.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 139.

³. المرجع نفسه، ص 134.

ب. الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿...فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256]. حيث شبه المتمسك بدين الإسلام بالمتمسك بالحبل المحكم، وعدم الانفصام ترشيح لهذه الاستعارة¹.

يقول الشريف الرضي في كتابه: ههنا مجاز واستعارة، والمراد تشبيه المتمسك بشرائط الإيمان بالمتمسك بالعروة الوثيقة من عرى الحبل، لأنه يستعصم بها من المزالق والمهابط الموبقة، ثم قال تعالى: (لا انفصام لها) بعيدا لها من شبه العرى المعهودة التي ربما انفصمت على طول الحد أو بليت قواها على مر الدهور².

ج. الاستعارة التصريحية: في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ [البقرة: 257]. حيث شبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور³.

قال في تلخيص البيان: وهذه استعارة والمراد بها اخراج المؤمنين من الكفر إلى الإيمان ومن الغي إلى الرشاد وذلك من أحسن التشبيهات لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ويضل القاصد، والإيمان كالنور الذي يؤمه الجائر ويهتدي به الحائر، وعاقبة الإيمان مضيئة بالنعيم والثواب، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب⁴.

د. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿...فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258]. من باب إطلاق المحل و إرادة الحال⁵.

ه. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿... قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ...﴾ [البقرة: 259]. موت القرية هو موت السكان فهو من قبيل إطلاق المحل وإرادة الحال⁶.

¹. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص138.

². الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص 34.

³. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص138.

⁴. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص35، 36.

⁵. محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص52.

⁶. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص140.

و. الاستعارة المكنية الأصلية في قوله تعالى: ﴿... ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 259]. نسترها كما يستر الجسد باللباس. قال أبو حيان: الكسوة حقيقة هي ما وراء الجسد من الثياب واستعارها هنا لما أنشأ من اللحم الذي غطى العظم وهي استعارة في غاية الحسن¹.

ومما سبق ذكره فهذه الآيات استعملت الظواهر الفنية البيانية لبيان قدرة الله تعالى ووجوب طاعته. فهي تنبهنا إلى أن الإخلاص لله تعالى هو سر التوفيق والنجاح في كل الأمور، وإرادة الله تعالى نافذة في حياة البشر إلى قيام الساعة والله غالب على أمره، والصبر هو من عوامل النصر الأولى، والهداية بالرسول والرسالات، والاختلاف من طبائع النفوس البشرية، ودعوة للإنفاق في سبيل الله، وآية الكرسي احتوت على العقيدة الإسلامية وآثارها، وصفات الله تعالى وبيانها، والإيمان بالله تعالى أعظم غاية في الوجود، كما بين تعالى أن الدخول في الإسلام يتم عن طريق الإرادة والتفكير لا عن طريق الإجبار، وأن المؤمنون يتولاهم الله، والكافرون أولياء الشياطين، كما ذكر تعالى مجادلة النمرود عليه السلام وأمثلة على قدرة الله، والطاعة لله لا حد لها والمعصية والكفر ظلمات تفضي إلى النار.

15. المقطع الخامس عشر: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٢٦٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٧﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٩﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ أَتْبَعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ

¹ المرجع نفسه، ص 140.

فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ ءَعْلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴿٢٧٥﴾

[البقرة: 261-275]

1.15. ملخص التفسير البياني: يخبر تعالى مرغبا في الجهاد بالمال لتقدمه على الجهاد بالنفس، أن مثل ما ينفقه المؤمن في سبيل الله وهو هنا الجهاد، في نمائه وبركته وتضاعفه، كمثل حبة برّ بذرت في أرض طيبة فأنبئت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة فأثمرتا الحبة الواحدة سبعمائة حبة، وهكذا الدرهم الواحد ينفقه المؤمن في سبيل الله يضاعف إلى سبعمائة

ضعف، وقد يضاعف إلى أكثر، والذين ينفقون في سبيل الله ولا يتبعون ما أنفقوه منا به ولا أذى لمن أنفقوه عليه بأن لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من حياتهم ولا هم يحزنون على ما يتركون من وراءهم ويخلفون، وهذه هي السعادة حيث خلت حياتهم من الخوف والحزن وحل محلها الأمن والسرور، كما يخبر تعالى بأن الكلمة الطيبة تقال للفقير ينشرح لها صدره وتطيب لها نفسه خير من مال يعطاه صدقة عليه يهان به ويذل فيشعر بمرارة الفقر أكثر، وألم الحاجة أشد، ومغفرة وستر لحالته وعدم فضيحته أو عفو عن سوء خلقه كالإحاحة في المسألة، خير أيضا من صدقة يفضح به ويعاتب ويشنع عليه بها، والله مستغن عن الخلق، حلیم لا يعاجل بالعقوبة من يخالف أمره¹. هذا ما تضمنته الآيات (261، 262، 263).

أما الآيات (264، 265، 266) فأخبر تعالى أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، كما تبطل صدقة من راعي بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس، أو يقال إنه كريم، ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال: ولا يؤمن بالله واليوم الآخر، ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه كمثل الصخر الأملس عليه تراب فأصابه المطر الشديد، فترك الوايل ذلك الصفوان صلدا أي أملس يابس لا شيء عليه من ذلكم التراب، وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله، لا يجدون له ثوابا في الآخرة، فلا ينتفع بشيء منها أصلا، والله لا يهديهم إلى طريق الخير والرشاد، ثم ضرب الله مثلا آخر للمؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم في ذلك، وهم متحققون ومتثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، كمثل بستان بربرة وهو المكان المرتفع من الأرض أصابها المطر الشديد، فأنت ثمرتها ضعفين بالنسبة إلى غيرها من الجنان، وهذه الجنة بهذه البربرة لا تحمل أبدا لأنها إن لم يصبها وابل فطل، وأيا ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبدا بل يتقبله الله ويكثره وينميّه، كل عامل بحسبه، ولا يخفى عليه من أعمال عباده شيء، وضرب الله مثلا حسنا فقال: أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل

¹ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص 254، 255.

وأعقاب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات، صنعه في شببيته وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره، فجاءه إعصار فيه نار فاحترق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه، وكذلك الكافر يكون يوم القيامة إذا رُدَّ إلى الله عز وجل ليس له خير فيستعذب، كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه، كما لم يغن عن هذا ولده وحرَم أجره عند أفقر ما كان إليه، كذلك يبيِّن الله لكم الآيات لعلكم تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني وتنزلونها على المراد منها¹.

وفي الآيات (267، 268، 269) أمر الله تعالى عباده المؤمنين بإخراج زكاة أموالهم من جيد ما يكسبون من حبوب وثمار كما أن ما يكسبونه يشمل النقدين والماشية من إبل وبقر وغنم، ونهاهم عن التصدق بالرديء من أموالهم وهذا منه تعالى تأديب لهم وتربية، وأعلمهم أنه غني عن خلقه ونفقاتهم يأمرهم بالزكاة والصدقات لحاجة به، وإنما أمرهم بذلك لإكمالهم وإسعادهم، ويحذر تعالى عباده من الشيطان ووساوسه فأخبرهم أن الشيطان يعدهم الفقر أي يخوفهم منه حتى لا يزكوا ولا يتصدقوا ويأمرهم بالفحشاء فينفقون أموالهم في الشر والفساد ويخلون بها في الخير، أمّا هو تعالى فإنه بأمره إياهم بالإففاق يعدهم مغفرة ذنوبهم لأن الصدقة تكفر الخطيئة، وهو الواسع الفضل العليم بالخلق، فاستجيبوا أيها المؤمنون لنداء الله تعالى، وأعرضوا عن نداء الشيطان فإنه عدوكم لا يعدكم إلا بالشر، فالله تعالى يرغب في تعلّم العلم النافع الذي يحمل على العمل الصالح، ولا يكون ذلك إلا علم الكتاب والسنة حفظاً وفهماً وفقهاً فيهما، فهو يؤتي الحكمة ممن طلبها وتعرض لها راغباً فيها سائلاً الله تعالى أن يعلمه، وأخبر أن من يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً فليطلب العاقل الحكمة قبل طلب الدنيا هذه تذكرة².

وفي الآيات (270، 271، 272، 273) يخبر تعالى أن ما بذلتم أيها المؤمنون من مال، أو نذرت من شيء في سبيل الله، فإن الله يعلمه ويجازيكم عليه، وليس لمن منع الزكاة أو صرف

¹ محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير، تح محمد علي الصابوني، دار القرآن

الكريم، بيروت، 1981م، ط7، ج1، ص238، 239، 240.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص261، 262.

المال في معاصي الله، من معين أو نصير ينصرهم من عذاب الله، وإن تظهروا صدقاتكم فنعم هذا الشيء الذي تفعلونه، وإن تخفوها وتدفعوها للفقراء فهو أفضل لكم لأن ذلك أبعد عن الرياء، ويزيل بجميل أعمالكم سيء آثامكم، والله سبحانه مطلع على أعمالكم يعلم خفاياكم، والآية ترغيب في الإسرار بالصدقة، وليس عليك يا محمد أن تهدي الناس، فإنك لست مؤاخذ بجريرة من لم يهتد، إنما أنت ملزم بتبليغهم فحسب، والله يهدي من يشاء من عباده إلى الإسلام، وأي شيء تنفقونه من المال، فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم لأن ثوابه لكم، ولا تجعلوا إنفاقكم إلا لوجه الله، لا لغرض دنيوي، وما تنفقوا من خير فإن أجره وثوابه أضعافا مضاعفة تنالونه أنتم، ولا تنقصون شيئا من حسناتكم، واجعلوا ما تنفقونه للفقراء، الذين حبسوا أنفسهم للجهاد والغزو في سبيل الله، لا يستطيعون بسبب الجهاد السفر في الأرض للتجارة والكسب، يظنهم الذي لا يعرف حالهم أغنياء من شدة تعففهم، تعرف حالهم أيها المخاطب بعلامتهم، من التواضع وأثر الجهد، وهم مع ذلك لا يسألون الناس شيئا أصلا، فلا يقع منهم إلحاح، وما أنفقتموه في وجوه الخير، فإن الله يجازيكم عليه أحسن الجزاء¹.

و الآية(274) هي آخر آيات الدعوة إلى الإنفاق جاءت تحمل أعظم بشر للمنفيين في كل أحوالهم بالليل والنهار سرا وعلانية بأن أجر نفقاتهم مدخر لهم عند ربهم يتسلمونه يوم يلقونه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة².

وفي الآية(275) شرع تعالى في ذكر أكلة الربا وأموال الناس بالباطل وأنواع الشبهات، وأخبر عنهم يوم خروجهم من قبورهم وقيامهم منها إلى بعثهم ونشورهم، أي لا يقومون منها إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له، وذلك أن يقوم قياما منكرا، وإنما جوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله في شرعه، لأن المشركين لا يعترفون بمشروعية أصل البيع الذي شرعه الله في القرآن، ولو كان هذا من باب القياس لقالوا: إنما الربا مثل البيع، هذا اعتراض منهم على الشرع مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا حكما، وهو العليم

¹ محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص145.

² أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص266.

الحكيم الذي لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فلم حرم الله الربا وأحل البيع؟ فمن بلغه نهى الله عن الربا فانتهى حال وصول الشرع إليه فله ما سلف من المعاملة قبل التحريم، ومن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغ نهى الله عنه فقد استوجب العقوبة وقامت عليه الحجة ولهذا قال: (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)¹.

2.15. الظواهر الفنية:

أ. التشبيه المرسل المجمل: في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ [البقرة: 261]. شبه سبحانه وتعالى الصدقة التي تنفق في سبيله بحبة زرعت وباركها المولى، فأصبحت سبعمئة حبة، قال أبو حيان: وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر.

ب. المجاز العقلي في قوله تعالى: ﴿... أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261]. إسناد الإنبات إلى الحبة إسناد مجازي، لأن المنبت في الحقيقة هو الله تعالى لا الحبة ولا الأرض².

ج. التشبيه التمثيلي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا...﴾ [البقرة: 264]. فالله سبحانه وتعالى يريد أن يبين للناس أن الصدقة التي تبذل رياء والتي يتبعها المن والأذى، لا تثمر شيئاً ولا تبقى، فينقل إليهم هذا المعنى المجرد، في صورة حسية متخيلة، ويدعمهم يتملون هيئة الحجر الصلب المستوي، غطته طبقة خفيفة من تراب، فظننت فيه الخصوبة، فإذا وابل من المطر يصيبه، وتذهب تلك الطبقة الخفيفة التي كانت تستره، وتخيل فيه الخير والخصوبة³.

د. التشبيه التمثيلي: في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَشْيِئًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ

¹. محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، ص245، 246، 247.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص143.

³. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2004م، ط17، ص39.

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ [البقرة: 265]. هذا هو الوجه الثاني للصورة، فهذه الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضاة الله، هي في هذه المرة كالجنة، لا كحفنة تراب، وإذا كانت حفنة التراب هناك على وجه صفوان، فالجنة هنا فوق ربوة، وهذا هو الوابل مشتركاً بين الحالتين، ولكنه في الحالة الأولى يصيب الصفوان (يمحو ويمحق)، وفي الحالة الثانية يصيب الجنة (يربي ويخصب) فيمتزج بالتربة ويخرج أكلاً¹.

هـ. الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى: ﴿يُودُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ...﴾ [البقرة: 266]. لم يذكر المشبه ولا أداة التشبيه وهي تشبيه حال بحال، لم يذكر سوى المشبه به فقط².

و. المجاز المرسل في قوله تعالى: ﴿...تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: 267]. المراد هنا التجاوز والمساهمة لأن الإنسان إذا رأى ما يكرهه أغمض عينيه لئلا يرى ذلك ففي الكلام مجاز³.

ز. التشبيه المقلوب: في قوله تعالى: ﴿...إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾ [البقرة: 275]. هذا هو أعلى مراتب التشبيه حيث يجعل المشبه مكان المشبه به، والأصل في الآية أن يقال الربا مثل البيع. ولكنه بلغ من اعتقادهم في حل الربا أن جعلوه أصلاً يقاس عليه فشبّهوا به البيع وهذا منتهى الفجور والعدوان⁴.

ومما تقدم ذكره في هذا المقطع نستنتج أنه استعمل الظواهر الفنية البيانية لبيان أهمية الإنفاق في سبيله تعالى.

وأن الإنفاق في سبيل الله، أجر عظيم لا يعلمه إلا الله تعالى، وأن كرم النفس مقدم على الكرم بالمال ولا قيمة للصدقة مع الرياء، والإنفاق في سبيل الله يعود خيره على المجتمع كله، وينفع الإنسان في ذريته، ولا يقبل الله إلا إذا كان حلالاً طيباً، ويجب إخفاؤه

¹. المرجع نفسه، ص 40.

². محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 144.

³. محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، ص 53.

⁴. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ص 148.

عن الناس، لما فيه من حكمة وكمال العقل، لأن صدقة السر خير من صدقة العلانية، ومن حكمتها البحث عن أصحاب الحاجة الحقيقية، والصدقة قوة في الروح والنفس والجسد. وأكل الربا إثم عظيم ومرض روحي وعقلي على من يتعاطاه.

خلاصة الفصل الثالث:

بعد رحلة البحث المتواضعة وجولتنا مع آيات القرآن الكريم نستخلص ما يلي: إنّ الناظر في الظواهر الفنية في التفسير البياني لسورة البقرة يجد أنها تكون في مواقف معينة لإقناع المشركين أو محاجة أهل الكتاب، أو فضح أحوال المنافقين، أو تثبيت قلوب المؤمنين وحثهم على البقاء ما هم عليه. فتتأسق الآيات واختلاف مواضعها يدل على ما تتميز به الظواهر الفنية من جمالية قرآنية عجيبة، فنجد آية واحدة تحتوي على عدة ظواهر فنية خاصة بين الاستعارة والكناية مثل الآية (187). وهذا لإظهار عظمة القرآن الكريم، وبيان مكانته. وقد اشتمل التفسير البياني لسورة البقرة على الاستفادة من الظواهر الفنية البيانية وتوظيفها لفهم معنى ودلالة النص القرآني وأهمها التشبيه بأنواعه (التمثيلي، البليغ، المرسل المجمل، المرسل المفصل، المقلوب)، والاستعارة بأنواعها (التصريحية، المكنية، التمثيلية، المكنية الأصلية، التصريحية التبعية)، والمجاز بنوعيه (المرسل، العقلي)، والكناية بنوعيه (كناية عن صفة، عن موصوف).

A decorative border with floral and scrollwork patterns in the corners and along the sides, framing the central text.

خاتمة

الخاتمة:

لا يستطيع أي دارس أن يقف في دراساته عند حد معين في الحديث عن التفسير والإعجاز البياني وذلك لغنى النص القرآني، وسعة معانيه وتعدد جوانبه، التي لا يحدها حد، ومن هنا تنوعت الدراسات واختلفت في استكناه مكنونات النص القرآني.

وبعد تناولنا الظواهر الفنية في التفسير البياني للقرآن الكريم بالتطبيق في سورة البقرة، نستطيع أن نقول أن هذا التناول أفضى بنا إلى استخلاص مجموعة من النتائج المتمثلة في:

1. الظواهر الفنية البيانية تعين على توضيح الفكرة وتعمل على جلاء الصورة، لها تصوير شديد القوة، عظيم التأثير في المتلقي.
2. للبلاغة طرفان: طرف أعلى إليه تنتهي، وهو حد الإعجاز وما يقوى منه، و طرف أسفل منه تبتدئ، وهو إذا ما غيّر الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات وإن كان صحيح الإعراب، وبين الطرفين مراتب كثيرة متفاوتة.
3. البيان يقف على أسرار كلام العرب، منشوره ومنظومه، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة وتباين في درجات البلاغة للوصول إلى مرتبة عالية.
4. التفسير البياني هو جزء من التفسير العام، الذي يبين أسرار التركيب في التعبير القرآني، من بينها مباحث علم البيان.
5. للتشبيه قيمة فنية لا تنكر في إثراء الإبداع الكلامي يكتسبها نتيجة تضافر عدة عوامل منها: الإيجاز، التبيين، المبالغة، إثارة الخيال، نقل الحالة الشعورية التي يعيشها المتكلم. مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ [البقرة: 261]. شبه سبحانه وتعالى الصدقة التي تنفق في سبيله بحبة زرعت وباركها المولى، فأصبحت سبعمئة حبة، قال أبو حيان: وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها ماثلة بين عيني الناظر.
6. الاستعارة التمثيلية هي أبلغ أنواع المجاز، وهي محط أنظار البلغاء ومهوى أفئدتهم، وقد كثرت في القرآن الكريم فكانت إحدى الحجج على إعجازه. مثال ذلك: في قوله

تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: 9]. شبه حالهم مع ربهم في إظهار الإيمان وإخفاء الكفر، بحال رعية تخادع الملك، واستعير اسم المشبه به للمشبه بطريق الاستعارة، أي يعملون عمل المخادع الذي يضحك على نفسه.

7. المجاز غذاء اللغة والروح الذي لا تحيا بدونه ولا قوام إلا به، ولولاه ما كنا نرى فيها البهجة والجمال الذين يتذوقهما كل ناطق بالضاد. مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ.....﴾ [البقرة: 74]. أي ماء الأنهار، والعرب يطلقون اسم المحل كالنهر على الحال فيه كالماء، والقرينة ظاهرة لأن التفجر إنما يكون للماء ويسمى مجازاً مرسل.

8. كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية، فإذا كانت الكناية جزء من الاستعارة، وكانت الاستعارة جزءاً من المجاز فإن نسبة الكناية إلى المجاز هي نسبة جزء الجزء وخاص الخاص. والكناية هي إحدى أساليب القرآن في تبليغ الرسالة الإلهية للأمة الإنسانية فهي تبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان، ووردت كثيراً في سورة البقرة. مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 66]. كناية عن أتى قبلها أو أتى بعدها من الأمم والخلائق، أو عبرة لمن تقدم ومن تأخر.

9. عدد الآيات المشتملة على الظواهر الفنية البيانية في سورة البقرة هو 80 آية. (منها 19 صورة تشبيهية، 37 صورة استعارية، 20 صورة مجازية، 13 صورة كنائية).

ويفتح هذا البحث آفاقاً جديدة تمثلت في اقتراح بعض المواضيع الجديرة بالبحث وأهمها:

1. تعميم الدراسات البيانية للباحثين على كل سور القرآن الكريم.

2. إنجاز معجم قرآني خاص بالظواهر الفنية البيانية.

3. زيادة التفاسير البيانية لحاجة الناس إلى تقريب مراد الله تعالى من كتابه المقدس.

فهذا جهد بذلناه فإن كنا قد أصبنا فذلك من فضل الله علينا وتوفيقه، وإن كنا قد أخطأنا، فحسبنا أننا بذلنا غاية الجهد، ليس الكمال إلا لله وحده، ولكتابه الكريم.

قائمة

المصادر والمراجع

أ.المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ب.المراجع:

- 1) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية-خصائص السور- ، بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، 1999 م، ط 1، مج 1.
- 2) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، المكتبة العصرية، بيروت، 2005 م، ط 2.
- 3) محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم-نظرات جديدة في القرآن، دار الثقافة، قطر، 1915 م،
- 4) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، تفسير القرآن العظيم، تح محمد ناصر الدين الألباني و محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، 2013 م، ط 3، ج 1
- 5) أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، راسم للدعاية والإعلان، جدة، 1990 م، مج 1.
- 6) الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت.
- 7) محمد علي الصابوني، مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، 1981 م، ط 7، مج 1.
- 8) سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم-نظريا وتطبيقيا-، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2006 م.
- 9) محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- 10) أبو القاسم جارا الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، 1977 م، ج 1.
- 11) أبو السعود محمد بن محمد العمادى، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار الإحياء للتراث العربي، ج 1.

- 12) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج2.
- 13) أحمد بن يوسف أطفيش، تيسير التفسير، تح ابراهيم بن محمد طلاي، دار التوفيقية، الجزائر، 2011م، د.ط، ج2.
- 14) ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، تق محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، السنة؟، ط؟، ج1.
- 15) محمد علي طه الدرّة، تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه، دار ابن كثير، دمشق بيروت، 2009م، ط1، ج1.
- 16) اسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّاح تاج اللغة وصّاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ط2، ج3.
- 17) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ط2، مج8.
- 18) علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، جمعه وضبطه الشريف الرضي ومحمد عبده، بيروت، مؤسسة المعارف، 1996م، ج 1-4.
- 19) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1.
- 20) أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع ، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية ، 1999م، ط1.
- 21) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية 2000م. ط1،
- 22) جعفر السيّد باقر الحسيني، أساليب البيان في القرآن، مؤسسة بوستان كتاب ، دت، ط1.

- (23) يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، عمان، 2007م، ط1.
- (24) أحمد قلاش، تيسير البلاغة، المدينة المنورة، دت، د.ط.
- (25) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (26) علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة والبيان والمعاني والبديع، دار الفكر بيروت لبنان، 2010.
- (27) بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1982م، ط1.
- (28) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ط1.
- (29) ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981.
- (30) أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تع نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ط2.
- (31) عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م.
- (32) أحمد مطلوب وكامل الحسن بصير، البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، 1999م.
- (33) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، تح مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المملكة العربية السعودية، ج1.
- (34) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيّان الأندلسي، البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1993م، ط1.
- (35) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة الوهبة، القاهرة، ط7.

- (36) فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، ج2، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، 2002 م.
- (37) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م.
- (38) ابن المعتز، الديوان، دار صادر، بيروت، دت، د.ط.
- (39) الخنساء، الديوان، شرح حمّو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، 2004م، ط2.
- (40) امرئ القيس، الديوان، تح مصطفى عبد الشّافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ط5.
- (41) البحتري، الديوان، تح حسن كامل الصّرفي، دار المعارف، مصر، 1964م، ط3، المجلد1.
- (42) أبو فراس الحمداني، الديوان، تح خليل الدّويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م، ط2.
- (43) أبو العلاء المعري، ديوان سقط الزند، دار بيروت، لبنان، 1957م، د.ط.
- (44) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ط1.
- (45) المتنبي، الديوان، دار بيروت، بيروت، 1983م، د.ط.
- (46) أبو الحسن علي بن محمد التهامي، الديوان، تح محمد بن عبد الرحمان الربيع، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1982م، ط1.
- (47) الحطيئة، الديوان، شرح ابن السّكيت، تح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ط1.
- (48) السّمّوأل، الديوان، تح واضح الصّمد، دار الجيل، بيروت، 1996م، ط1، مكتبة لسان العرب.
- (49) ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، د.ط.

50) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، 2004م، ط17.

ج. المعاجم:

51) اسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصّاح تاج اللغة وصّاح العربية، تح أحمد عبد

الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ط2، ج3.

52) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب،

دار صادر، بيروت، د.ت، ط2، مج8.

53) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ج1.

54) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح صفوان عدنان داوودي، دار

القلم، دمشق، 2009م، ط4.

55) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار

الفكر، 1979م، ج1.

56) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح محمد نعيم

العرقوسي، مؤسسة الرسالة، 1998م، ط6.

57) ابراهيم مذكور، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع

الأميرية، مصر، 1996م، د.ط.

58) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق

اللغوية، تح عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ط2.

د. الرسائل الجامعية:

59) شمسوني الماجستير، الكناية القرآنية ومكوناتها التربوية-دراسة على تعبيرات الكناية-

ه. الملتقيات والمقالات:

60) آلاء عيد ، مقال حول علم البلاغة . <https://mawdoo3.com>.

61) منتديات أهل السنة بالعراق، <http://www.sunnti.com/vb/>



فهرس المحتويات



فهرس المحتويات

شكر وتقدير.....	
مقدمة.....	أ-د

الفصل الأول: التفسير البياني وعلم البيان

أولاً: علم البلاغة.....	6
ثانياً: علم البيان.....	10
ثالثاً: التفسير البياني.....	15
خلاصة.....	21

الفصل الثاني: الظواهر الفنية البيانية

أولاً: ظاهرة التشبيه.....	23
ثانياً: ظاهرة الاستعارة.....	34
ثالثاً: ظاهرة المجاز.....	41
رابعاً: ظاهرة الكناية.....	49
خلاصة.....	56

الفصل الثالث: الظواهر الفنية البيانية في سورة البقرة

أولاً: في رحاب سورة البقرة.....	58
ثانياً: دراسة الظواهر الفنية في مقاطع سورة البقرة.....	48
مقطع رقم (1).....	48
مقطع رقم (2).....	48
مقطع رقم (3).....	48
مقطع رقم (4).....	48
مقطع رقم (5).....	48
مقطع رقم (6).....	48

48.....	مقطع رقم (7)
48.....	مقطع رقم (8)
48.....	مقطع رقم (9)
48.....	مقطع رقم (10)
48.....	مقطع رقم (11)
48.....	مقطع رقم (12)
48.....	مقطع رقم (13)
48.....	مقطع رقم (14)
48.....	مقطع رقم (15)
64.....	خلاصة
127	الخاتمة
131	قائمة المصادر والمراجع
138	فهرس المحتويات
	الملخص

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة الظواهر الفنية البيانية في القرآن الكريم بالتطبيق في سورة البقرة، ويسعى لفهم آياتها والاشتغال بقضاياها وأسرارها، والكشف عن وجوه اعجازها. وقد بني البحث على ثلاثة فصول: تطرقنا في الفصل الأول إلى مفاهيم حول علم البلاغة والتفسير البياني وعلم البيان، وتناولنا في الفصل الثاني أبرز الظواهر الفنية البيانية، واشتمل الفصل الثالث على دراسة الظواهر الفنية في التفسير البياني في سورة البقرة. واعتمدنا فيه على المنهج الوصفي، حيث توصلنا إلى عدة نتائج أبرزها: أن المفسر البياني ينبغي أن يكون على اطلاع واسع في علوم اللغة العربية، وأن يلتزم في تفسيره بضوابط لغوية بيانية تصون كلماته، واتضح أن الصور الفنية ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسائل للوصول إلى الغاية الأسمى من اعجاز القرآن الكريم، وقد استخدمها علماء البلاغة والتفسير لتقريب المعنى والتأثير في المتلقي، ليتبادر إلى الإقتناع بمضمون آي القرآن. الكلمات المفتاحية: الظواهر الفنية، علم البيان، التفسير البياني، سورة البقرة.

Abstract

The purpose of this research is to study the technical phenomena in the Holy Quran by applying it in Surat Al-Baqarah, and seeks to understand its verses and to deal with its issues and secrets, and uncover the faces of its miraculous. The research was based on three chapters: In the first chapter we discussed the graph interpretation and the speech sciences. In the second chapter we discussed the technical phenomena of graphs. In the third chapter we dealt with the technical phenomena of graphs in Surat al-Baqarah. We have adopted in this research the descriptive approach.

We reached several results as follows: that the interpreter should have a broad knowledge in the science of Arabic language, and to be committed to the interpretation of the linguistic controls graphic that preserve its words. We found out that artistic images are not a target in themselves, but they are means to reach the ultimate goal of the miracle of the Holy Quran. It has been used by rhetoric and interpretation researchers to approximate the meaning and influence of the recipient, to come to the conviction of the contents of the verses of the Quran.

Keywords: Technical Phenomena, speech sciences, graph interpretation, Al-Baqarah.